



الشهرستاني، هبة الدين حسين محسن، ١٣٠١ - ١٣٨٦هـ.

المعارف العالية أو علم الدين للمدارس الراقية / تأليف السيد هبة الدين الحسيني.
- كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية . شعبة التراث الثقافي والديني، ١٤٣٥ق. = ٢٠١٤م.

٩٤ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛).

١. الإسلام - مسائل متفرقة - خطب ومقالات ومحاضرات. ٢. الإسلام والعلم. ٣. الإسلام - دفع مطاعن. ٤ . الأخلاق الإسلامية. ٥ . الإسلام - عقائد. ٦ . القرآن - سور وآيات. ٧ . الدين والمجتمع. ٨ . الإسلام - الجوانب الاجتماعية. ٩ . علم الاجتماع الديني. ألف. السلسلة. ب . العنوان. ج. العنوان: علم الدين للمدارس الراقية.

BP 11 .S5 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

المعارف العالية

او

علم الدين للمدارس الراقية

تأليف

معالى العلامة الحجة السيد

هبة الدين

الحسيني

طبع على نفقة

موسى حسين الحسيني

صاحب المكتبة المركزية : بغداد

طبع في مطبعة الكرخ * بغداد ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م

قام بإعادة طبعها

شعبة التراث الثقافي والديني

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م



العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بسمه تعالى

مقدمة قسم الشؤون الفكرية

الحمد لله الذي وفقنا لطاعته في حفظ تراث أهل العلم وطبعه ونشره، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد المصطفى وآله الكرام.

دأبت شعبة التراث الثقافي والديني على البحث والتفتيش عن كل ما صدر لعلماء هذه المدينة المقدسة في الزمن الغابر، وطبعه وتوزيعه على بعض الجهات العلمية والاحتفاظ بما تبقى ليكون مثالاً يحتذى به، وهذا الجهد الذي تقوم به الشعبة في قسم الشؤون الفكرية يراد منه الأمور التالية:

١. الحفاظ على تراث العلماء الماضين.

٢. اطلاع القارئ الكريم على نشاط النخب العلمية والثقافية في الماضي، ليتسنى له تقيم ثقافة المجتمع آنذاك.

٣. ربط الأجيال الحاضرة من العلماء والمثقفين بالأجيال السابقة من خلال هذه النافذة.

٤. الاستفادة العلمية والثقافية.

٥. الإحاطة بالمشاكل التي كانت تواجه المجتمع آنذاك ومعرفة حلولها لاستفادة من هذه الحلول عند تكرارها مرة أخرى.

٦. معرفة أسماء العلماء والمثقفين والإطلاع على أحوالهم ونشاطاتهم وعطائهم للإقتداء بهم.

وغير ذلك من الأمور التي نأمل أن يحققه هذا النشاط من قبل شعبة التراث الثقافي والديني في قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

رئيس القسم

الشيخ علي الفتلاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

اما بعد الحمد لله والصلاة فقد كانت الامال (ولاتزال) معقودة على ثقافة النشء الاسلامي الذي سيملك بيديه الحل والعقد بفكره الصائب وخلقه الفاضل وعمله الصالح غير أن المأسوف عليه ما يصيب البعض من تسمم الفكر وسوء الخلق والعمل. وذلك لما لعبت يد الاهواء في تعاليم الدين (يا للاسف) ولم يجتهد المصلحون في مقاومة ذلك فضعفت كلمة الدين وفشت بين اهله ضلالات وخرافات وسيئات وبدع وحلت في مدارسنا فلسفة غربية غريبة الشكل بالقياس إلى العلوم المألوفة والنظريات المعروفة فتولدت من هذه وسابقاتها شبهات حول الاصول والفروع وشكوك حول المدارك عم ضلالها النفوس الا من اعتصم بمرشد ناطق او صامت او عصمه ايمانه الثابت.

اجل منيت الناشئة بخبط وتذبذب ثم ادركتها نسمة الرحمة من ناحية وزارة المعارف الجليلة في الدورة الصيفية فطلبت (فيما طلبت) القاء المحاضرات الدينية على المعلمين لكي يتزودوا منها الغذاء المناسب لتربية تلاميذهم ولتقوى فيهم ملكة التعليم الديني الملائم لهذا العصر السائد عليه فوضى اخلاقية اعتقادية تنذر بدنو الاجل المحتوم.

فقمت (بعون الله) وامامي شوق الطلاب ومن ورائي سوق الواجب اذ قال النبي ﷺ «اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه ومن لم يفعل فعليه لعنة الله».

فألقيت ما سنح على البال وما سمح به الحال في اشد ساعات الحر وحمارة القيظ وشجعني على المثابرة استحسان الاساتذة والمعلمين لهاتيك المحاضرات حتى بلغت مبلغاً يمكن التعويل عليه في الهداية ونيل شيء من الغاية وربما استحق المستحضر منه ان يعد مثالاً ومنوالاً ينسج عليه ونبراساً يهتدى به.

فالأمل في قوة مفعول هذا المستحضر وفي اسلوبه المبتكر ان يبدل وجه الفن (من علوم العقائد واللاهوت والكلام) من الشاكلة المشوهة إلى الشاكلة الحسنى ويهذب من فصولها فضولها ويسد عيازتها ويجدد ثيابها البالية بحلل عبقرية تشّف عن الماضي وتلائم الحاضر وتزهو في المستقبل انشاء الله تعالى.

إن أَرَدْتُ إلاّ الاصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ وما توْفيقي إلاّ بالله عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ.

المؤلف

هبة الدين الحسيني

بسم الله وله الحمد

علم الدين

علم الدين موضوع ابحاثنا الآتية وبما انه مركب من لفظتي العلم والدين فينبغي الاشارة قبل كل شيء إلى جوهر العلم وجوهر الدين على وجه الاجمال ليسهل تنوير الفكر حولها في المباحث الآتية:

جوهر العلم:

العلم وان عرف بحصول الصورة او الادراك أو انكشاف الشيء للنفس لكنه معروف الحقيقة والاثر واعرف من ان يعرف واشهر وهو فضيلة وفضيلته ظاهره[1] اذ كل خير يفضل بفضل العلم فهو أولى بالفضيلة على أنه خير وسيلة إلى كل خير لمفرد أو مجتمع.

---

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١] وقال النبي صلى الله عليه وآله «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر**».

وفي حديث آخر «**كفضلي على ادني رجل من أصحابي**» وجه الشبه في الأول الوضوح. وفي الثاني الدرجة وقال صلى الله عليه وآله: «**العلماء ورثة الأنبياء**» و«**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**» وروى الغزالي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال لكميل: «**العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإتفاق**» وقال علي عليه السلام «**إذا مات العالم في الإسلام ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه**». وقال ابن عباس: للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين وقال علي بن الحسين عليه السلام: «**لو يعلم الناس ما في العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج**».

نعم قد يذكر العلم ويراد به الفن أو جملة مسائل متناسبة يعتمد عليها في استيضاح الحقائق واستيفاء الغرض فيقال علم النحو اي مسائله المدونة في كتبه فإذا قلنا (علم الدين) أو معلمه عم كلا المعنيين.

جوهر الدين:

الدين منهاج رباني يتكفل لسالكيه سعادة الحياة كما أشارت الآية ﴿..**لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً**..﴾.[1] إلى أن الشرائع والأديان التي جائت بها الأنبياء هي مناهج وبإضافتها إلى الله تميزت عن المناهج البشرية واستكملت وضوحاً عندما أضفنا إلى ذلك بيان الغاية منها اعني بها سعادة الحياة لسالكية وقد أشارت الآية ﴿..**اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ**..﴾.[2] إلى أن الدين دليل الحياة.

والحياة معروفة للفرد كما للأمة وفي هذه النشأة كما في الأخرى.

ولسعادة الحياة مؤثرات ثلاث الفكر والخلق والعمل أمّا التدين فهو التمسك بهذا المنهاج والإيمان به في باطن الاعتقاد في ظاهر القول والعمل.

شعب علم الدين:

لما كان الدين كافلا سعاد السالكين في الحياة والسعادة نتيجة الفكر الصالح والخلق الصالح والعمل الصالح تشعب من ذلك علم الدين إلى شعبه الثلاث علم العقايد ويسمى الكلام والأصول الاعتقادية وهو الذي يحفظ صحة

---

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

العقيدة الفكرية ويعالجها من أن تسمم بالأباطيل وأمهات مسائله توحيد الخالق وصفاته الكمالية وتنزيه ذاته عن نقائص الأجسام ثم إرساله رسلاً إلى خلقه لإصلاح أمرهم بفضل الشرايع والكتب المنزلة وحياً منه سبحانه إلى أنبيائه المصلحين ثم المعاد إليه للدينونة وجزاء المحسن خيراً والمسيء شراً.

ثانياً- علم الفقه بما فيه أحكام الشرايع والحقوق ومعاملات وعبادة ويسمى فروع الدين أيضاً وهو الذي يعالج اصلاح العمل و حفظ صحته من أن يلوث بالفساد سواء تعلق بالشخص الواحد كالوضوء أو بالعائلة ومناسباتها كالنكاح أو تعلق بالأمة والمجتمع المدني كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً-علم الاخلاق وهو الذي يعود النفس على الفضائل كالصدق والسخاء والحرية ويصونها من دنس الرذائل كالكذب والجبن والأنانية وعليه فالمدار في أبحاث العلوم الدينية الأساسية على أقطابها الثلاثة العقيدة والفضيلة والعمل ومنها تفرعت فنون لهذه العلوم كما تكون من مجموعها علم واحد يتعلق بمناحي الوحي والقرآن وجدير بأن يسمى علم التفسير فأنه يتضمن أصول العلوم الدينية كافة.

مدارك علم الدين:

لكل علم مدرك أو مدارك يستند إليها الباحث في تأسيس أصوله وتفصيل فروعه وتمحيص حقائقه عند التعليل والتدليل كعلم النحو فأن المدرك فيه على الأكثر هو استعمال العرب الفصحاء.

وعلم الطب ومدركه التجاريب المطردة في استخدام طبايع المواليد الثلاثة.

والمدرك في علم الدين أربعة عند المسلمين يركنون إليها في حل المشكلات ويبنون عليها قواعد الدين في الأصول والفروع جاء ذكرها في خطب الإمام علي عليه السلام وفي كتاب عمر رضي الله عنه إلى شريح واتبعهم التابعون وغيرهم حتى اليوم وهي العقل والوحي والنص والإجماع.

أما العقل فحجة بنقاد إلى حكمها الإنسان بالفطرة ولا تتم للناس حجة إلاّ به فهو أولى بأن يكون حجة وهو مرشد للأنسان في كل سبيل وأصل لكل دليل دعا إلى مشايعته القرآن في آية ﴿**فَبَشِّرْ عِبادِ*الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾.[1]

وأشار إلى كونه حجة عامة موسى بن جعفر عليه السلام في قوله «**أن لله حجتين حجة ظاهرة وهي الأنبياء وحجة باطنة وهي العقول**» ومنه القياس القطعي ويؤلف من الفطريات والبديهيات الأولية ومن المتواترات والتجارب المطردة وما بالحس والوجدان (الضمير) فيتولد منها ومن الأصول المسلمة العلم الصحيح.

وأمّا الوحي وهو أعلام الخالق بعض الخلق بأمره فهو حجة أن كان صريح الخبر صحيح المصدر وأظهر أفراده محكمات القرآن وهو دليل المسلم في دينه ومنهاج سيره في حياته لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم وأما نص المعصوم كالرسول صلى الله عليه وآله فإنما يؤخذ به اعتماداً على الوحي القائل ﴿**وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾.[2]

---

(١) سورة الزمر: ١٧-١٨.

(٢) سورة الحشر:٧.

فهو حجة المسلم ودليله أذا كان محقق الصدور واضح الظهور ولم يكن مخالفاً لظواهر القرآن للحديث الثابت عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاتركوه**».

وأمّا الإجماع واعني به (أجماع المسلمين على أمر شرعي من عهد رسول الله حتى اليوم) فحجة عندنا اعتمادا على الحديث الثابت عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**لا تجتمع أمتي على خطاء**»، ومتى تعارضت هذه الحجج فالجمع بالتأويل المعقول أولى من الطرح وأن اعي العلاج من طريق الجمع والتأويل فالعقل والقرآن يتقدمان.

هذه المدارك الأربعة مراجع الدين وأدلته وما سواها كالمشهورات والمنامات والأخبار الضعاف مدارك أهل الجهل والبدع فأحرى بها أن لا تتبع.

علم الدين فريضة:

العلم أرقى فضيلة وبالأخص علم الدين أذا أنه يتعلق بأشرف معلوم وأفضل موضوع والعلوم تتفاضل بحسب تفاضل معلوماتها وهو القدر المتيقن من العلم المطلوب في الدين وقد عده الله عديلاً للأيمان في القرآن في آية ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ**﴾.[(١)]

كم عده مقدمة له في آية ﴿..**وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ**﴾.[(٢)] فيكون مطلوباً على سبيل المقدمة ومقدمة الواجب واجبة فهو مقدمة للإيمان بالله ورسله كما هو مقدمة لمعرفة المنعم الذي يجب شكره بالفطرة.

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٣.

ولان الأديان كالمذاهب كثيرة ومتضاربة الآراء وكل يدعي أن الحق في جانبه وأن النجاة وسعادة الحياة حاصلتان من قلبه ولا يمكنك رد الجميع ولا تصديق الجميع لاحتوائها على المتناقضات ويستحيل عليك في المتناقضين رفعهما كما يستحيل جمعهما فلا بد من النظر فيها وعرض على محك العلم لتمحيص الحق من الباطل وتمييز الرايج من المزيف:

وقد اجمع العلماء على وجوب طلب العلم على كل مسلم ومسلمة كما نص عليه الحديث النبوي الذي لم يستثن منه صنفاً ولا شخصاً كما لم يستثن منه زماناً أو مكاناً.

فقال صلى الله عليه وآله: «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**»[١] و«**اطلبوا العلم ولو في الصين**»، أي أن الذي سحت عليه ينابيع العلم في بلاده فليهاجر إلى ابعد البلاد مثل الصين عاصمة المشركين بل ولندن وبرلين...

وأما من قصرت خطاهم عن الهجرة فالواجب على القادرين أن يهاجروا في طلب العلم حتى أذا ارتووا من زلاله وعادوا وعلموهم كما تشير الآية ﴿**فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾.[٢]

---

(١) سأل عن هذا الحديث سائل فقال أن العقل والنقل لا يساعدان على تكليف من كان في مهده أو في لحده فأجبت.

أولاً-بالحمل على المبالغة والمبالغة سائغة حتى في الكتاب والسنة.

وثانياً-يحمل العلم على المعلوم أي اطلب المعلومات المتعلقة بالإنسان من مبدء حياته إلى ما بعد وفاته كما يقال «**اطلبوا المال من الفلس إلى الدينار**» والغرض وجوب تحصيل العلم بإحكام الإنسان حينما هو طفل ثم وثم إلى أحكامه وهو ميت.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

الغاية من الدين ومنافعه

لا ينكر من حقوق الدين وأياديه البيضاء على المجتمع أنه المعلم الأول للبشر والمربي القديم وقد أخذت البشرية في حضانته النصيب الأوفر من النمو والانتشار والعظمة وأرتضعت الإنسانية من ثدييه العلوم والأخلاق إعصاراً ودهوراً. فعلى كتبه ومكاتبه تثقف وتفقه ومن شيوخ معابده ومساجده اخذ اللوح والقلم وتعلم ما لم يكن يعلم ومن الأنبياء والحكماء اقتبس معارفه العالية حتى اشرف على إسرار الطب والطبيعة وكائنات الأرض وكامنات السماء: وكان الدين الحجر الأساسي الذي بني عليه الإنسان صرح مدنيته واليد العاملة في انشاء حضارته وبشرايع الدين وشعائره (لا سيما الدين المحمدي) امن النفوس وبسط الأمن في البسيطة .وبمنابره استلطف الطباع الغليظة وعلى عصاه اعتمد الانسان وبسوطه ارتدع.

هذه حقايق من الدين وحقوق تذكر فتشكر ولا تنكر وله غير ما ذكرناه فوائد قيمة قائمة العين دائمة الأثر للبشر مفردة ومجتمعة يخبر عنها التاريخ والعيان كأعيان محسوسة وملموسة باليد.

أثره في السلوان:

الدين يؤمن للمرء نفع الحال والاستقبال وخير سلوة عند الخسار الانكسار. إذ العامل إذا خاب سعيه أو منعه عن بلوغ غايته مانع أو داهمة الخسار فانه عند

اعتقاده بالعوض عن كل ذلك في الحياة الأخرى يكون اقل أسى وأسفاً وآمن ضميراً لتأمينه جزاء هذا الضرر في النشأة الاخرى وبما يعوضه الله تعالى من حسن الجزاء قال سبحانه: ﴿**أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى**﴾.[(١)]

وليس الكفر كالمؤمن مثل هذا الخسار فهو يقضي حياته بالاسى والأسف كلما فاته عمل أو خاب منه أمل وقد ألمع القرآن إلى هذا الفرق إذ خاطب المؤمنين المجاهدين بقوله: ﴿**إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ ما لا يَرْجُونَ**﴾.[(٢)]

أثره في حياة الامة:

إن الاعتقاد بحسن العوض وسوء الجزاء في حياة أخرى يمنع النفوس إلى درجة ما من الظلم على الضعفاء ويدفعهم إلى درجة ما نحو الإحسان إلى الفقراء وتعلمون ان حياة الإفراد والأمم قائمة على تقليل الظلم وتعميم الإحسان أو بعبارة أخرى إن الحياة الاجتماعية تقوم وتدوم على قدر حياة العدل والإحسان فيها وهما ركنا شرايع الدين وأمر بهما دين الإسلام في آية ﴿**يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ**﴾.[(٣)] وبالعدل والفضل لا بسواهما يقوم النظام ويدوم الانتظام.

أثره في قوة الارادة والنبوغ:

ان الدين عدا ما فيه من بث العدل والإحسان وعدا ما فيه من حسن العزاء والسلوان له الفضل الأكبر في تنشيط العزائم والهمم وفي توليد العبقرية والنبوغ

(١) سورة ال عمران: ١٩٥.
(٢) سورة النساء: ١٠٤.
(٣) سورة النحل: ٩٠.

في الإفراد والأمم اذ هذه الخيرات تنشأ في النفس من قوة ولإرادة الفرد المتدين تكون أقوى بالطبع من إرادة غيره فان المتدين يتوجه إلى عمله بأملين أمل عاجل بمنفعة حاضرة وأمل آجل بمنافعه في الآخرة بينما يتقدم غير المتدين بأمل واحد وهو النفع الحاضر فحسب وطبيعي إن الإقدام بأملين أقوى فعلا وأثراً مما بالأمل الواحد وتعلمون أن العيش في الإفراد والأمم قائم على دعامة الأمل ولولا الأمل لبطل العمل والإعمال الجبارة إنما تقدر ضخامتها بضخامة الآمال في أصحابها وما يحسبون لأنفسهم من ورائها والدين قد اجتاز بخطواته الواسعة مفاوز شاسعة في الحياة بدون ان يحسب الأرقام الهائلة في المال بتقوية الآمال. اجل انك تارك بالمائة تسعين من أعمالك الشخصية لضعف آمالك في نجاحها على خلاف أعمالك النوعية التي تأمل فيها حسن الجزاء من الله.

أذا كنت مؤمناً صادقاً وصدّيقاً واثقاً بمواعيد الأديان فلا تترك من أعمالك التسعين بالمائة أملا بالنفع الآجل إذا فاتك النفع العاجل ومن كان في ريب مما ذكرناه فليلق نظرة بسيطة على ما امتلكه المسلمون من ممالك البسيطة اذ فتحوا بقوة الدين قلاعا وامتلكوا أصقاعا من آسيا وأوربا وأفريقيا لم تمتلك حتى اليوم مثيلها روسيا الجبارة بجيوشها الجرارة وانجلترا العظمى بأساطيلها الوافرة وتدابيرها الساحرة فأسلمت للمسلمين بقوة أيمانهم ونشاط أسنتهم وإيمانهم ما بين الصين والجزائر من طول المعمورة ومن بطون الهند إلى ضواحي باريس عرضاً غير هنالك للمسلمين من فتوحات علمية وآثار عمرانية و. و.

أثره في مراقبته في خلواته:

الدين ينصب مراقباً خفياً يحول دون الجرائم فان الادب الديني ربي النفوس على ثقافته المثلى فلا يعود المرء يتخطاها في السر كما لا يتخطاها في العلن فبينما ترى الشرطي أو المراقب العلني من قبل الحكومات والدول ينحصر تأثيره على الفرد والمجتمع في دائرة الظاهر فقط ترى المراقب الخفي الذي ينصبه الدين في قلوب الناس يتسع نفوذه في مناطق الخفاء وماوراء الاستار أكثر مما على المكشوف فالدين بما انه واعظ داخلي وزاجر نفسي يحول على الدوام بين المرء والجريمة فينفع الحكومات والدول اضعاف ما تنفعه الثلل من الشرطة والجيش حتى ان المجتمعات الرسمية والتي يتخصص بحفظ النظام فيها المراقبون والشرطة فان الادب الديني يساعدهم بقوته المهيمنه على النفوس اضعاف ما يبذلونه من القوة.

أثره في تأليف القلوب:

للدين على وجه العموم أثر قوي في تأليف القلوب فوق مزاياه الاخرى فهو المؤلف بين الجماعات مهما اختلفت نزعاتها والوانها وتباعدت لغاتها وأوطانها وقد قام الدين ولاسيما الاسلام بنشر الحب بين اصناف البشر والف من اياته ورواياته وشعائر عباداته اخوة بين الصحب والجيران وسائر الاقوام كما اشار إلى ذلك القرآن بقوله: ﴿**إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً**﴾.[1]

---

(١) سورة ال عمران: ١٠٣.

وبقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[١]

فربط جندب العربي بسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي و.و.و. وكل يؤثر اخاه على نفسه ويتفادى دونه وتوسعت هذه الوحدة المتينة بين الممالك الاسلامية أو خمس البشر وتوثقت عراها باسم الله واعتصاماً بحبل الله وتمسكا بكتاب الله وسنة رسول الله كما اشارت إلى ذلك آية ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾.[٢]

اي ان الوحدة العربية وبالاحرى الاخوة الاسلامية لم تكن تقوم او تدوم بأنفاق الاموال في سبيلها لو لم يدع إليها باسم الله وبفضل آياته وشعائره اجل ان الدين الصحيح وشعائره المعظمة والعقيدة بالخالق العظيم تؤلف القلوب أيما تأليف وتشكيل للمعتقدين والمعتنقين جامعة تفوق الجامعات الاخرى في قوة الفعل والأثر والجامعات مهما اتسعت وتكثرت فروعها فالاوصول اربعة: الدين، والوطنية، والإنسانية، والنظرية والدينية اجمع وامنع.

السعادة غاية الغايات:

كم ذكر الاقدمون وذكرنا للدين منافع لا تحصى. وفوائد لا تستقصى و كلما قالوا وقلنا قليل من كثير الا اننا يجب ان نعلم قبل كل شيء ان الدين لا تحصر فوائده في تقوية العزائم والهمم نحو الحضارة وارتقائنا في ظواهر الحياة فحسب وانما الشرايع شرعت لغاية اسمى واسمى جداً مما قلناه وقالوه.

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الإنفال: ٦٣.

الا وهي خلاص الانسان من بقايا ما في نفسه من الخلق الحيواني وترقيق طبعه من تلكم الشراسة والسبعية والانانية القاسية اللواتي بقين فيه رواسب من عصوره الاولى ولكي يعود بفضل الدين ملكاً كريماً ولا يبقى بهيماً ولكي يصير انساناً كما ينبغي ولا يبقى حيواناً كما يبتغي.

وهذا هدف لا ارفع منه ولا انفع سواء للفرد أو المجتمع وأما الفرد فارتقائه النفسي واضح من تهذيبه عن تلكم الرذائل الخلقية.

واما نفعه للمجتمع فلما تعلمون ان النوع آحاد ولكل واحد مواهب قيمة يريد أن يستفيد منها ويفيد فاذا نزعت من صدره سبعيته ومن نفسه انانيتها أمن الواحد من الاحاد كما يأمن الاحاد من شر الواحد فعند ذلك تظهر للعيان فسحة واسعة للعمل المشترك وتفاهم المجتمع وتم التضامن والتعاون وصلحت كرة الارض لان تعود جنة عدن لابنائها من البشر كما خلقها الله لهم اول مرة وهنالك السعادة المنشودة للبشر وهناك يعرف الانسان ولي نعمته الرب ونعمه ويشكر الواهب على المواهب.

اللادينية اضرارها واخطارها

الدين معنى مثبت كما سبق ومن شأن المثبت ان ينعكس عنه معنى منفي فاللادينية ظل منعكس عن معنى الدين بطبيعة الحالة وهذه الحالة السلبية للدين توصم بالكفر في لسان الشرع فليس نكران الدين والشرايع والنظم الآلهية باقل اثما من نكران الخالق او بعض انبيائه لو لم يعد اعظم اثما واوبل شرا سيما وان الاستناد إلى الحالة السلبية في الدين كالاستناد إلى الحالة السلبية في السياسة شأن الضعفاء في الفكر والعمل وقد يتسنى ان يعيش مها الفرد في ظل الجماعة كالمريض ولكن الجماعة لا تستطيع ان تعيش بحالة سلبية... نعم يصبوا إلى اللادينية صنفان من الناس هما الضعفاء في العلوم الروحية والضعفاء في العمل كانهم لم يشهدوا اثر الدين في تقويم الحياة ولا آثاره في سعادة الافراد والعوائل والمجتمع او كأنهم لم تبلغهم اخطار اللادينية واضرارها.

أثر في شقاء الفرد:

فمن اضرارها شقاء الفرد والشقاء للنفس موت متوال وخسار هائل وقد كتب لي كاتب قبطي من مشاهير المادية في عصره ومصره يصف حالته ايام ضعف اعتقاده بالمبدء والمعاد قائلا:

(بت محموماً ليلتي فذقت الموت فيها مراراً كلما تصورت القبر وراء الموت وان لاشي وراء القبر وان مصباح حياتي المتلألأ اذا انطفأ انعدم بكل معنى الكلمة).

وفوق ما يتصوره من فنائه وفناء كل شيء منه شقائه من فقد المسليات له في كل ما يصيبه من مصيبة وانه لا يكافأ ازاء كل خير قام به في الحياة كالمشار إليه في آية ﴿**يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾.[1]

أثرها في شقاء الامة:

من اضرارها شقاء المجتمع وأثره في تدهور الامة فقد تحرينا تواريخ الامم من عرب وعجم فوجدنا ان العرب قبل الاسلام راجت بينهم اغلوطة (ان هي الا حياتنا الدنيا).

اغلوطة انكار المبدأ والمعاد وتربت في افكار بعضهم من جيرانهم الفرس مباديء (مزدك) على يد الحارث الكندي من طريق الحيرة فآلت بهم إلى الشتات والمذلة ولما ان حلت محلها العقيدة بالمبدأ والمعاد لمت شعثهم وأمرتهم على رقاب الشعوب ومن قبلهم الفرس عندما نفتش فيهم آراء (ماني ومزدك) رؤس الزنادقة والملاحدة انحل ملكهم بملوك الطوائف.

وبعدما دخلوا في الاسلام وهذبوا بتعاليم القرآن واينعت في قلوبهم ثمرة الايمان بالله تعالى واليوم والاخر وانتعشت العقيدة الدينية المحمدية قوى كيانهم وعاد إليهم سلطانهم فلو لم يكن لنا مبدأ أو معاد على سبيل فرض المحال لا

---

(١) سورة الإنفال: ٦٣.

وجبت علينا مصلحة البقاء أن نؤمن بالمبدأ والمعاد بعد ما قضت التجارب الصادقة لهما بذلك الاثر الخطير وعدتهما من اسباب حياتنا الاجتماعية وهذا على سبيل المجاملة مع من ينكر الأدلة الفنية للمبدأ والمعاد وصحة الأديان في حين اننا قد قطعنا على انفسنا العهود والمواثيق لكم أن نثبت كل عقيدة دينية بأدلة بينة ساطعة.

أثرها في تذبذب الفكر:

من اضرار اللادينية الحيرة في السيرة فمن سبرغور الاديان وتصفح وجوه الامر والنهي يجدها بأسرها تنظم للإنسان لوائح متحدة المآل ترشده إلى كيفية السير والسلوك في منهج الحياة وتهديه الصراط المستقيم سواء في سلوكه مع أهله وإخوانه أو صحبه وجيرانه فيعرف تكليفه في الحياة وواجبه ويؤدي مع الجميع وجائبه. اما المتمرد في وجه الاديان فيقضي اكثر احيانه في تذبذب الفكر والحيرة فاذا سار فأكثر سيره على غير بصيرة يقلد هذا وذاك ويتكلف في معرفة التكاليف أو يعيش بلا تكليف ولاتمسك بواجب الا ما حكمت عليه الضرورات القاسية والعوامل القهارة وكما انه يعيش في حيرة فان الناس العرفاء بحاله يعيشون معه كذلك.

وكم في القرآن آيات واشارات إلى وجوه شقاء الكافر وظلاله وسوء حاله وتدهور الاقوام في هوة الظلال السحيقة.

وإلى اسفل درك من الجحيم.

وفي بعض ما قدمناه غنية وهداية لمن كان له قلب ولب.

وقد عرفت واعترفت عقلاء الشرق والغرب ان الدين قوة يستعان بها ولا يستهان بها.[(١)]

في شؤون الحياة للامم وان الدعايات الهدامة التي تزين للبسطاء رفض الدين قد يقصد منها الحط والتحطيم وتجريدنا من اقوى سلاح مذخور لنا وامضاء.

---

(١) ان ممن اعترف بهذا الامر غوستاف لويون فيلسوف فرنسا الشهير اذ قال للدكتور توفيق بك اليزدي في محادثة بينهما نشرتها مجلة رعمسيس:

(ان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين والتشبث بالعقائد الباطلة فان الدين قوة ادبية لا يستهان بها ومن الواجب عليكم ان تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وان تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية وعلى طلاب الشرقين الذين يأتون الينا لاقتباس انوار العلوم ان ينتخبوا من العلوم والفنون والافكار والعادات ما يفيد وطنهم ويوافق اخلاقهم) وعند الوداع كتب له الفيلسوف بخطه:

(ان الشعب الذي يريد الرقي يجب عليه ان لا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه وان يحترم تقاليده ويراعيها).

تدرج الأديان في تكميل الإنسان

الاديان مدارس متتالية:

يعرف من تصفح تاريخ الاديان والشرايع ما زال ولا يزال دأبه وادبه السير بالانسان نحو الكمال بحكمة واعتدال وان يدربه على مقاصده بحسب طاقته ويغذيه من معارفه وفضائله على مقدار مقدرته واستعداد بنيته كالمعلم الذي يتدرج بتلميذه في مدارج العلوم حسب تدرجه في السن والمقدرة العقلية والجسدية.

كالتي لموسى وعيسى ومحمدﷺ شرايع آلهية قامت بوظيفة التربية والتعليم حسب وحي الخالق وحاجة الخليفة وكانت قبلها الشريعة في أسلافنا الاوائل من العرب تعاليم فطرية بسيطة كسنة ابينا ابراهيم من قبل وهي ام الاديان واصل الاسلام فكانت هذه للانسان بمثابة مدرسة اولية تعطيه اللوح والقلم وتلقنه ما لم يكن يعلم.

ثم الدين الاسرائيلي بدء بالتشريع والتعليم فثقف النوع ثقافة اجتماعية محدودة الاطراف حتى اذ بلغ رشده واشده اتاه دين المسيح فهذب الانسان من بقايا اخلاقه الصبيانية واستلطف الطباع من غلظتها واوصي بالصبر والحلم والمحبة العامة.

فكانت هذه والتي من قبلها كمدرسة ابتدائية وثانوية لنوع الانسان تدربانه وتهذبانه وتجهزانه للكليات والجامعات ثم جاءت شرعة الاسلام كمدرسة جامعة لشعب الفنون وفنون الشعوب تدعوه إلى اصناف الفضائل وتغذية انواع العلوم اذ حوت من السياسة اسماها ومن الادارة أقواها ومن المعارف ارقاها ومن الحقوق اجلاها ومن الاخلاق ازكاها و...

الحجة في الدعوى:

وحجتنا في دعوانا مضافاً إلى التاريخ ان الانسان متطور في نشأته «جنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً».[١]

قد خصه الله في كل دور بغذاء يناسب جسمه وهضمه فغذاه وهو جنين بالدم ثم غذاه وهو رضيع باللبن وغذّاه بعد الفطام بلطيف الطعام وغذاه بعد الصبا بالوان الاطعمة وصنوف الاغذية.

وكما سن الخالق للانسان غذاء مناسباً لجسمه وهضمه يتدرج معه الدرجات الاربع لابد ان يختار له الغذاء المناسب لعقله وروحه يتدرج معه حسب تدرجه في النمو العقلي والكمال النفسي من طفولته إلى كهولته...

كما تراه إلى ادب الحاضن وتلقين ابويه قبل كل احد ثم الى مدرب يدربه اذا ترعرع ثم إلى المعلم ليغذيه العلوم والفضائل ثم إلى استاذ المعلمين لاستكمال الثقافة والنظرة فالاستاذ كمحمدصلى الله عليه وآله.

---

(١) كما قال امير المؤمنين علي عليه السلام في احدى خطب نهج البلاغة.

والمعلـم كالمسـيح والمـدرب كـابن عمـران والحاضـن كـالاب الحـريم ابراهيم.

هـذه سـنن الخـالق في خلقـه ولـن تجـد لسـنته تبـديلاً ولا تحـويلاً: ومـن المقـرر في الفنـون الحـاضرة ان السـنن الجاريـة عـلى الفـرد في ادواره واطـواره جاريـة على النوع.

وعليـه فالانسـان مضـطر نوعـه إلى اجتيـاز هـذه الـدرجات الاربـع للتربيـة والتعليم فكـان الانسـان بعـد استكماله عـلى الـشريعة الابراهيميـة كخـريج مـن مدرسته الاولى تحول إلى الشريعة الموسوية وبعد ان تكامل فيها و تخرج انتقل إلى العيسوية وبعد ان تكامل فيها وتخرج انتقل إلى المحمدية فاذا كانت هذه مـدارس الله وهؤلاء اساتذتها المتفقون على نظام المعارف الآلهية والغاية في الجميع واحـدة فاحترامنا اياها وفاه وادب.

ومما يؤيـد هـذه النظريـة مـن ناحيـة الـدين هـو تبشـير موسـى بعيسـى وتبشـير عيسى بمحمدصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وكذلك قول المسيح «**لاتظنـوا اني جئـت لأنقـض النـاموس او الانبياء ما جئت لأنقض بل لاكمل**».[1]

ومن بعده يصـرح سيدنا المصطفى محمدصَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قائلاً:

«**بعثت لا تمم مكارم الأخلاق**» وتصديق القرآن لشريعة التوراة في آية ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَرَحْمَةً**﴾.[2]

(١) الاصحاح رقم ٥ انجيل متى.

(٢) سورة هود: ١١

ونعته لنبي الإسلام بكونه (مصدقاً للتوراة والإنجيل) فترى كل خلف من هؤلاء الاساتذه يصرح بانه المكمل والمتمم لما قام به سلفه المعظم من وظيفة التربية والتعليم.

اي الاديان اصلح؟

الاسلام جامعة عليا:

كلما ذكرت الاديان وذكرت اثارها في تكامل الانسان توجه السؤال بطبيعة الحال عن اصلحها للبقاء واضمنها للارتقاء واوفاها بحاجات البشر والمستحق من بينها لاسم الجامعة العليا والمدرسة القصوى في نظام التربية الالهية ودرجات تعليم النوع.

وجوابنا على هذا السؤال يكون واضحاً بالاعتماد على العقل وشهوده الاربعة المتفقة على ان الديانة الاسلامية هي التي من حقها ان تحل محل الجامعة العليا في تربية الانسان:

اولها- تأخرها في الوجود عن اخواتها بعد المصادقة على انها دين رباني صحيح المباني وشأن الجامعات ان تتأخر عن معاهد العلم في عهد التحصيل.

مضافاً إلى انها جامعة لجميع ما في اخواتها مع الزيادة ففي هذه الاستسلام للفطرة والتوجه إلى الله في العبادة ومطاردة المتمردين ونماردة العصر اكثر مما في الشرايع الابراهيمية. كما وفيها تشريع الاحكام والقوانين الحقوقية العادلة في الانام ومطاردة الظلم وفراعنة البشر اكثر مما في اليهودية.

كما وفيها وصايا الصبر والحلم ونشر المحبة العامة وسحق الانانية ورذائل الاخلاق اكثر مما في النصرانية وتفوقهن بما فيها من فرض العلم بلا استثناء والتمسك به في امر المبدأ والمعاد وفي كل اوجه الحياة ومطاردة الجهالة وآداب الجاهلية وآباء الجهل وابنائه إلى غير ذلك من شعب الفنون وفنون الشعوب شأن الجامعات ودوائر المعارف العليا.

ثانيها- اقترانه إلى كتاب معجز ثبت اعجازه لمعرضيه واستمر اعجازه اربعة عشر قرناً وإلى ما شاء الله من القرون حينما لم يقترن دين آخر بآية باقية الامر الذي يشعر باستمرار هذا الدين حجة خالدة للبشر. وقد شهد الخبراء من غير تابعيه بان الاسلام وقرينه اي القران يملكان من المرونة والقوة ما اعطاهما صك البقاء مع الزمان.(١)

---

(١) للدكتور شبلي شميل اعترافات بهذا المضمون نظماً ونثراً ولغيره من علماء الافرنج وعرفاء المسيحين مقالات وفق ما ذكرناه بل فوقه تجمع مجلداً ضخماً ونقنع من كلها بما يأتي:
خطب الاستاذ فارس بك الخوري الوزير السوري ومن كبار العلماء المسيحين في احدى الحفلات التي أقيمت بدمشق في حزيران سنة ١٩٣٥ ومما قاله:
«ان محمداًﷺ اعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله والدين الذي جاء به اوفى الاديان واتمها واكملها وان محمداً اودع شريعته المطهرة اربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس اليها باسم الله ولانها متفقة مع العلم مطابقة لارقى النظم والحقائق العلمية.
ان محمداً اعظم عظماء الارض سابقهم ولاحقهم. فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وانشأ منهم امة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء لها باعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم واصول تعاملهم على أسس تعد من ارقى دساتير العالم واكملها».

←

ثالثها- ما فيه من قواعد كلية الشمول سيالة في بطون الاجيال كثيرة الفروع كما قال الإمام عليعليه السلام: علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح من كل باب الف باب فمهد للعلماء سبل التفريع والتوسيع في احكام التولدات من بطون الايام والاعوام) كقولهصلى الله عليه وآله:

«**لا ضرر ولا ضرار في الاسلام**» فهو كاف لاستخراج الالوف من احاكم الافراد والجماعات وفتحت من بركاتها ابواب الاجتهاد والاستنتاج على العلماء والفقهاء فيما لا نص فيه.

فشرع تضمن الافاً من هذه القواعد الخالدة يغني ابنائه بالطبع من الحاجة إلى اي دين آخر.

رابعها- وجوب الاتكاء في جميع المواد والموارد منها على العلم والعقل ومؤديات الحس والوجدان سواء في المبدأ والمعاد او في الخلق والعمل ففي القرآن ﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾.[1] و﴿**فَبَشِّرْ عِبادِ*الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾.[2]

الامر الذي يجعل التطور ضرورياً للفقه الشرعي حسب التطورات التي يفني بها العلم ويحكم بها العقل في مختلف الاحوال ويجعل المسلم على الدوام مستفيداً

هذا هو ما قلناه ويقوله المسلمون الا انه امتاز بقيمة الثقة الغالية من اجل انه صادر من افواه غير متهمة بالمحبة والمحابات. وانما هي سنة او اقلام ملكت حريتها ثم لم تتمالك من الاعتراف بالحقيقة الناصعة.

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

مـن نتـائج العلـم ومسـتخدماً للظـروف فالـدين المتصـف بهـذه المزايـا الحسـنى والميزات الحيوية يتحتّم عـلى الانسـان ان يحفـظ صـلاته الحسـنى معـه دائمـة غـير منقطعة.

المحاكمة بين العلم والدين

تجاذب بين قوتين:

من عرف البشر وتاريخه وسير الاديان وتاريخها اعترف بأن النهضة الاولى كانت حركة تدار بمحور الدين وان الدين هو المحرك الاول للمجتمع البشري بالقياس إلى محركاته الاخرى لو لم نقل انه الكل في الكل كما لا تردد في ان العلم وليد من الدين وربيب احضانه في مختلف العصور غير انه قد يبرح في حياته من حياده فهو المؤيد للدين اذا توافقا او معارض له ان تخالفا وطالما يصادف المعلم والمتعلم في سبيلهما تضارباً وتجاذباً ومظاهر العلم وظواهر الدين تحتم علينا عقد البحث عن المحاكمة بينهما وتوضيح الوسائل العلاجية لحسم الخلاف على ان النزاع القائم بين الدين والعلم اشبه بنزاع بين الوالد والولد فالعلم اذا عارض الدين في امر انكر كونه اصيلا وادعي كونه دخيلا فيه ادخلته اياد اثيمة لحاجة في النفس والدين ومنه براء فهو عند الحقيقة ينزه اباه وينكر المتنبي او الدخيل مثاله ما رواه المستغفري في طبه عن النبيﷺ من اكل لقمة من البطيخ كتب الله له سبعين الف حسنة ومحي عنه سبعين ألف سيئه ورفع له سبعين ألف درجة ومقتضاه ان يجتاز آكل البطيخة كلها أعلى عليين وما يروي من اشتمال الجنة على حوراء طولها ما بين المغرب والمشرق وعقيرتها ميل في ميل وفي ساقها سبعون ألف خلخال من الذهب ولرنة خلخالها سبعون ألف نغمة تزف إلى المؤمن في قصر له سبعون ألف طابق وو... فالعلم في معارضته يصم هذه بالوضع وانها من انتحالات انصار جهلاء او أعداء أبالسة والدين يصف الجنة بقوله:

﴿وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾[(١)] وهو قدر كاف للترغيب.

واما الدين اذا عارض العلم في امر قد بت فيه فانه كناصح له يصده عن مغشته ويرده إلى الحق الحقيق بالتصديق مثاله اجماع المنجمين والرياضيين في الحكمة الغابرة على ان الفلك جسم صلب لا يقبل الخرق والا لتيام وانه تغير فسد وافسد حتى انك لتجد من بطليموس واشياعه في المجسطي وغيره حججاً وبراهين على ذلك. وقد رد هذا الرأي الإمام جعفر الصادقعليه السلام بقوله «ذلك قول الزنادقة واما المسلمون فلا سبيل لهم إلى تصديقهم» والمتأمل في الشريعة الاسلامية يجد الف دليل ودليل يناقض الرأي البطليموسي وبعدما مضت على نصيحة الصادق تسعة قرون عاد العلم إلى رشده فعدل عن هذا الرأي فقرر ان الفلك مدار مفروض في الفضاء الخالي تسبح فيه اجرام النجوم غادية ورائحة كما نطقت به الاية القرآنية ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[(٢)] وما زال المخلصون يخشون على الدين صولة العلم مع زلاته كما يتهيب انصار العلم من الدين مهما ضعف وكم اقامت الكنائس لأبناء المدارس مذابح ومجالد وكم وقف المفكرون والمتعلمون بعد ذلك للدين واهله بالمرصاد وهذا الصراع الحادث بين الدين وقواه وبين الفن قواه هو الذي اوقفنا موقف التحكيم بينهما او التحيز إلى احدهما دون الاخر ولا يقاس الدين الاسلامي بغيره في ميادين الخصام بفضل موازين الجرح والتعديل والتقديم والتأويل المحكمة في شرع الاسلام لتحاكم الدين والفن فقدم الوحي الصريح حتى على النص الصحيح اذ قال:

---

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) سورة يس: ٤٠.

(ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاتركوه) ثم في معارضة الوحي والعقل يفسح مجال التأويل للراسخين في العلم فيحسم النزاع بين الدين والفن كلما قامت خصومة بينهما فيصطلحان.

علاج المخالفات وامثلتها:

لايغيب عن الباحث امتياز العلم عن الفن في بعض الموارد حيث يشتمل الفن في الغالب على نظريات فنية وافتراضات للتمهيد وتقريباً من الافهام بينما العلم منزه عن الظن والظي وما يشبه الفرض او الوهم. فاذا قيست نتائج العلم والفن إلى ما ثورات الدين وبان الخلاف بينهما حدثت صور ثلاث.

الاولى- مخالفة العلم لخبر المعصوم كالرسول صلى الله عليه وآله فان كان الخبر ضعيف السند طرح كالخبرين السالفين وأما إذا كان السند صحيحاً والمتن يحتمل التأويل تأولناه بما يوافق الاصول والمعقول كرواية (لاعدوى ولاطيرة) وتأويها بنفي الاثر الشرعي دون الحقيقة التي اثبتها علم الطب قديماً وحديثاً كيف لا وقد اثبت الدين عدوى العاهات في الاثر الصحيح (فر من المجذوم فرارك من الاسد).

الثانية- مخالفة العلم للوحي كالقرآن:

ولاريب في صحة صدوره مهما حامت الظنون حول معانيه وحيثما أمكن التوفيق بينهما بتأويل ظواهر الكتاب العزيز فالتأويل خير علاج على شريطة ان لايخرج به عن أساليب اللغة وقواعدها المعروفة مثال ذلك آية ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1]

(١) سورة القيامة: ٢٣.

فان علم اللاهوت يخالف رؤية الاله بالعين فلا محيص من تأويلها بحذف المضاف وتفسير النظر بالانتظار اي إلى رحمة ربها منتظرة كقول العربي (فان غداً لناظره قريب) اي لمنتظره كيف لا والقرآن صرح بأن الله ﴿**تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ**﴾.[1] وقال لموسى ﴿**لَنْ تَرانِي**﴾.[2]

مثال آخر لمخالفة العلم مع الوحي المسجل في القرآن الكريم وفي سفر التكوين من التوراة اذ دل هذا على خلق السموات والارض في ستة ايام والخلق اذا كان على وجه الابداع لم يحسن معه ذكر الايام واذا كان على وجه التكوين (التحول) لم يكفه ستة ايام ولا ستة الاف عام فيحسم الخلاف بتأويل الكتاب وذلك ان السموات كالارض من نظامنا الشمسي مخلوقة بالتدريج والايام لخلقها ايام الله تعالى المذكورة في القرآن في آية ﴿**إِلَيْهِ فِي يَوْم كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾[3] وفي اية ﴿**وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾.[4]

الثالثة- مخالفة العلم او الفن فيما يقبل التأويل وهذا اشبه بالفرض منه بالحقيقة لنفترض له مثلاً آيات خلق البشر من التراب على سبيل الابداع القرآن الكريم وفي فاتحة التورات ومخالفتها لقواعد التحويل والتطور في الخليقة.

فالاحوط في مثل هذا الفرض ان نتريث حتى يهتدي العلم إلى حل وتأويل مرضيين او يرجع العلم عن خطأه.

اما اهتداء العلم إلى حل الخلاف بعد قرون واجيال فمثل ما سيأتي شرحه في حديث الانوار وانها اصل الالوان فان علم الفيزياء

---

(١) سورة الإنعام: ١٠٣.
(٢) سورة الاعراف: ١٤٣.
(٣) سورة المعارج: ٤
(٤) سورة الحج: ٤٧.

فسر ذلك في القرن الحادي عشر الهجري خير تفسير.

واما رجوع العلم عن خطأه فكلما انه عارض آية ﴿**وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ**﴾[1] فعلوم الطبيعة واللاهوت والفلك تعاقدت على استحالة وجود الدواب في السموات وعجزت عن تأويل الآية الف سنة. ومنذ قرون سحب العلم رأيه وخضع للقرآن وما نطق به كما سحب رأيه في احاديث وجود الارضين في السماء وكم بدل العلم الوان مبادئه والدين ثابت الصبغة. وكيف لا نحتاط هكذا والايمان بالله يقضي بعصمة الدين دون عصمة العلم وبان الراسخين في العلم يعتصمون بالايمان في المتشابهات.

جوهرة البحث وفيها محاكمة الغزالي:

ان الصراع بين العلم والدين المنوه بشأنه ليس الا معارضة بين مدرك ومدرك هما من جملة مدارك علم الدين اذ سبق ان علم الدين يستقي من منابع اربعة: العقل، والوحي، والنص، والاجماع، وكلما ذكر في هذا البحث عبارة اخرى عن معارضة العقل للمدارك الثلاثة او معارضة الوحي لكل من طرفيه او معارضة نص المعصوم لسابقيه وقد وقفنا على كلام لابي حامد المعروف بحجة الاسلام الغزالي في تهافت الفلاسفة يناسب المحاكمة بين الدين والعلم آثرنا حكايته قال:

القسم الثاني: ما لا يصدم مذهبهم (الفلاسفة) فيه اصلا من اصول الدين، وليس من ضرورة تصديق الانبياء منازعتهم فيه كقولهم ان خسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس

---

(١) سورة الشورى: ٢٩.

نوره من الشمس وان الارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنه نور الشمس.

وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة وهذا الفن أيضاً لسنا نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض ومن ظن المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف امره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يتطلع عليها ويتحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء اذا قيل له هذا على خلاف الشرع لم يتسرب فيه وانما يستريب في الشرع وضرر الشيء ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيل: عدو عاقل خير من صديق جاهل. فان قيل- قد قال عليه السلام ان الشمس والقمر لآيات من آيات الله عز وجل ولا تنكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله تعالى والصلاة فكيف يلائم هذا ما قالوه- قلنا ليس فيه الا نفي وقوع الكسوف لموت احد ولا لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والطلوع والغروب لا يبعد عنه ان يأمر بها عند الكسوف استحبابا فان قيل- قد روى انه قال في آخر الحديث ولكن الله اذا تجلى بشيء خضع له فيدل على ان الخسوف خضوع بسبب التجلي- قلنا هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها. وانما المروي ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله اهون من مكابرة امور قطعية فكم من ظواهر اولت بالأدلة القطعية لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد واعظم ما يفرح الملحد ان يصرح ناصر الشرع بأن هذا وامثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع.

مؤاخات العلم للدين الاسلامي

ميزات النصوص الاسلامية:

سبق ان العلم وليد الدين وربيب احضانه غير انه قد يبرح في حياته عن حياده فيصول بقواه على الدين وقواه فتنجلي المعركة عن خسار وانكسار لاحد الجانبين وهذه الخاتمة قلما يصادف وجودها في الدين الاسلامي:

اولاً- لقوة المآخاة والمكاتفة الموجودتين بين الفريقين.

ثانياً- لوجود النصوص المأثورة على صيغتها وصبغتها الاصليتين.[1] في الاسلام الامر الذي يجعل النص العربي مرناً وصالحاً للتأويل فيصعب على العلم ان يكاشف الوحي في غير القرآن ليصطلحا وهذه المكاشفة وتلك المكاتفة مخصوصتان بشريعة الاسلام اضف إلى ذلك ان الوحي الاسلامي يملك مزية التواتر دون غيره ومن اجله صار العلم يلتجيء إلى عملية التأويل او الايمان التعبدي دون الطرح.

---

(١) ان القرآن الحكيم موجود بلفظه المنزل خلافاً للتورات والانجيل وكتب الصابئة والمجوس وغيرها فهي غير موجودة بنص الفاظها المنزلة وانما الموجود ترجمتها وليست الترجمة كالأصل في التعبير عن الحقيقة كما لا يجدي التأويل فيها.

خضوع العلم للدين

كم نطق الاسلام بأمر فأعترضه العلم بالجدل الصاخب ولم يلبث العلم الا خاضعاً له بعد حين مثاله (حدوث السماء والارض وما فيهن وما بينهن ثم فنائهن) نطق بذلك شرع الاسلام لكنما العلم المعاصر لنزول القرآن واعني به فلسفة الفرس والهند واليونان كان ذلك يقرر قدم الارض والسماء وقدم العناصر والاجرام وانها كما ثبت قدمها يستحيل عدمها وانه لا شيء في الفلكيات يقبل الدثور والفناء.

ثم لم يمض الف وربع الف على مقررات الدين الا والعلم المذكور كذب نفسه بنفسه وضرب عن مقرراتة صفحاً ونزل على الرأي القرآن من حدوث الارض والسماء وانهما كانتا رتقاً في السديم ثم انفتقتا بتقدير العزيز العليم وحدث فيهن وبينهن على سبيل التدريج اقمار وانهار وبحار واشجار ثم يأتي عليهن يوم بؤس وفناء فالشمس تكوّر والكواكب تنثر والبحار تسجر وتبدل الارض غير الارض واذا بها وكلما عليها فان.

التوسع العلمي في الاسلام:

واشتد اتصال العلم بدين الاسلام دون دوائر معارف من علوم الدين ومأ ثوراته غير مسبوق مثيله في دين آخر.

على ما للعلم من تصديق مأثورات من الدين خفي امرها على العالمين مثل تحرك الارض وكرويتها وما ورد من وجود الانسان والحيوان في الكرات السامية ومن وجود ارضين فوق السموات العلى ووجود اربعين قمراً وراء قمرنا.

ووجود الف الف عالم والف آدم إلى غير ذلك من مأثورات كشفت عنها الفنون الحاضرة براقع الخفاء ذكرت الشطر المهم منها في (الهيئة والاسلام).

وهناك مأثورات قيمة في الدين عن الطب والطبيعة وحتى عن وجود المكروب.[1]

وتكوين الجنين واطواره في ادواره وسر الذكورة والانوثة وآداب الاكل والشرب والجماع وطبائع الاطعمة والكائنات والخواص الكيمياوية حتى ان الامام جعفر الصادقعليه السلام المتولد سنة ٨٣ املى على تلميذه جابر بن حيان الكوفي.[2]

خمسمائة رسالة في الف ورقة.[3]

عن هذه الخواص وكان الكيمياويون من قبله كخالد المتوفي سنة ٨٥ يروي عن أمير المؤمنين عليعليه السلام موازين الصناعة ويعبر عنه بسيد الاقيال كما قاله الطفرأني في المفاتيح والمصابيح.

---

(١) ذكرنا الشطر المهم من هذا في كتاب (الطبيعة في الشريعة) وكتاب (الهيئة والاسلام) في استنباط المظاهر الطبيعية والفلكية من النصوص الاسلامية.

(٢) قد اخطأ من زعم ان جابر الكيماوي اخذ عن خالد لان خالداً توفي وجابر لم يولد وجعفر الصادقعليه السلام كان رضيعاً ويعلم من جابر في رسالة (الراهب) وغيرها انه لم يلق خالداً وانما اخذ علمه من جعفر الصادقعليه السلام.

(٣) وذكر ذلك ابن خلكان وابن النديم وفانديك الامر يكاني في اوائل سنوات المقتطف.

وروي عنهعليه السلام أقولاً مدهشه في فنونهم وللدين في غير الطب والفلك فصول ومقالات خلفت للمسلمين ثروة فوق الحد في ابواب الفقه والقضاء والقوانين والحقوق وتهذيب النفس وتدبير المنزل وسياسة المدن وفنون الاخلاق وعلوم اللاهوت وعوالم الملكوت فوق ما اسدى إلى الامم من ادب القول وفصاحة اللفظ وبلاغة المنطق ومحاسن الكلام منظومة ومنشوره

وبالجملة فقد اقام الاسلام دولة علمية واسعة أقتبس الغربيون من انوارها ما اضاؤا به وجه المعمور اجملنا الاشارة إلى نواحيها واحلناك في اخذ تفاصيلها إلى كتب مطولة صنفت لهذه الغاية.

ونختم البحث باصدق شاهد على تعليم الشرعة الاسلامية ابناء مدرستها اسرار الطبيعة وهو الحديث المستفيض عن أئمة اهل البيت النبوي:

«**ان الله خلق العرش من انوار مختلفة فمن ذلك نورا اخضر ومنه اخضرت الخضرة ونور احمر ومنه احمرت الحمرة ونور اصفر ومنه اصفرت الصفرة ونور ابيض وهو نور الانوار ومنه ضوء النهار**».[1]

---

(١) وجدت هذا الخبر النور في كتاب الحديث المشهور كتوحيد الصدوق المتوفي سنة ٣٨١ والكافي للكليني المتوفي ٣٢٨.
وفي ترجمة عبد الله بن عباس من رجال محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي. وفي اختصاص المفيد المتوفي سنة ٤١٣ وفي تفسير القمي الكائن سنة ٢٥٠ هـ وفي السماء والعالم من بحار المجلسي المتوفي سنة ١١١١هـ .وفي بضع كتب اخرى.

وكان العلماء في خلال اعصار مرت على هذا الحديث يعدونه من المتشابه الذي لا يعرف تأويله حتى وقفت سنة ١٣٢٥هـ.

على جزء الطبيعيات من (النقش في الحجر) تأليف فانديك الامريكاني فاذا به يحلل نور الشمس إلى انوار مفردة هي النور الاخضر ومنه تبدو الخضرة على الاجسام والنور الاحمر ومنه تبدو الحمرة الخ زاعماً ان الذي اكتشف هذه الحقيقة قبل كل احد هو اسحاق نيوتن الانجليزي المتوفي سنة ١١٤٠هـ وسنة ١٧٣٧م.

فعرفت تأويل الحديث ورأيت علماء الفيزياء قد اجمعوا على ان اللون ليس شيئاً غير النور فالحمرة ليست سوى نور احمر ينعكس عن الجسم اي ان نور الشمس اذا وقع على سطح وكان السطح على حالة تشرب كل الانوار فلا ينعكس منه نور ظهر السطح بلون اسود فالسواد عبارة اخرى عن عدم النور وان كان السطح على حالة لا يشرب شيئاً من النور قط اي يعكس كلما يقع عليه الظهر بلون ابيض لان البياض في النور عبارة اخرى عن امتزاج كافة الانوار الملونة.

وهذا هو ضوء النهار اي نور الشمس واذا كان السطح بحالة يشرب كل النور الا النور الاحمر ظهر الجسم بلون أحمر.

واذا كان بحالة يشرب الكل الا النور الاخضر بانت عليه الخضرة.

وهكذا سائر الالوان اجل ان هذا الفن لم يقرره الفن قبل نيوتن وقبل حدوث المنظار الطيفي الشمسي.

غـير ان الـدين الاسـلامي نطـق بـه عـلى لسـان أوليائـه وأمنائـه قبـل ألـف وقرون.[1]

(١) يجد المتطلع على ابحاث هذا الكتاب مسائل علمية من اسرار فنون الطب والطبيعة والافلاك بينما عنوان الكتاب علم الدين فينبغي ان لا يغيب عن نباهته ناهيك ان العلوم اصبحت اليوم براهين ناطقة بصحة الدين الاسلامي اكثر من غيرها.
لان الدين الذي نبع من صحراء الحجاز المحرقة ومن بين صخوره الصلدة ونبغ نبيه الامي في امة جاهلة تخلو من وسائل العلم وبعيدة عن الدراسة وعن كل ادوات الرصد وعن كل آلات الفحص.
لايكون كشفة لهذه الاسرار الا من قبيل التنبؤ عن الغيوب ومعللا باتصاله إلى الخالق ووحيه الصادق.

(الشخصية المطاعة والمنهج الثابت)

تـمهيد:[١]

الدين معهد التعليم والتربية لنوعك ولشخصك والنبي المعلم فيه وبالأحرى انه مدير معمل الانسانية ودين الاسلام ارقى تلك المعاهد والجامعة لكلياته العليا وقد قضت المناسبات لأول دخول التلميذ ان يعرض على اعلى شخصية مطاعة فيها اي المدير وان يعرض عليه المنهج الثابت للمدرسة اطلاعا على ما يجب اطلاعه فعليه نستهل البحث بذكرى محمدﷺ كأعلى شخصية مطاعة بعد الله في دين الاسلام ونثني بذكر القرآن منهجه الثابت الوحيد.

---

(١) كان السابقون علينا يدخلون من باب النظر ومقدماته إلى اثبات الخالق وصفاته ثم إلى النبوة العامة فالخاصة لكي يبني عليها صدق الوحي والشريعة:
لكننا نختار الوصول من اقصد السبل واقصرها فندخل من باب ضرورة الدين والتعلم إلى اصلح الاديان واوفقها للعلم وإلى وحي اثبت العلم والعقل اعجازه وتفوق مظهره ومظهره واذا ثبت كونه اماماً وهاديا في محكمة العقل بقضاء حاسم من العلم وجب التمسك بتعاليمه ومقرراته مادة فمادة وجملة فجملة.

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله:

الشخصية المطاعة في دين الاسلام بعد الله سبحانه رسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي ارسله الله قبل الف وقرون للعالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً.

بعث صلى الله عليه وآله في مكة المكرمة ام القرى الحجازية سنة ٦١١م وقد اكمل الاربعين من عمره من اشرف حي في العرب حسباً ونسباً وكان على ضيق ذات يده سمحاً سخياً ملك العرب وقضى مديونا لا يملك ما يوفيها حتى تكفل ديونه ابن عمه علي بن ابي طالب عليه السلام وكان على اميته وجهالة قومه بحر علم زاخر يفيض على المستقين من ينبوعه علمه الغزير وكان على جانب عظيم من كرم الخلق وحسن الخلقة وتناسب الاعضاء جسماً مليحاً فصيحاً بليغاً يقول فصلا ويحكم عدلاً صادق اللهجة والضمير اميناً على السرائر و الصرائر والحرائر صبوراً قنوعاً رؤفاً رحيما ذكي القلب زكي النفس نبيه الفكر نبيل الفعل طلق الوجه باشّه بعيد النظر حادّه كثير العمل جاده بعث والآفاق مظلمة من كثرة الظلم وقلة العلم لا سيما جزيرة العرب ووطنه بالحجاز فقد كان على جاهلية عمياء ووثنية شوهاء تعبد مصنوعاتهم وتؤكل ويباع مولودهم ويقتل فقام فيهم داعياً إلى الله وعبادته ومرغباً إلى العلوم والفضائل وزاجراً عن الشرور والقبايح مجتهداً في اصلاح حالتهم وما افسد امر العوائل والافراد مضحياً في سبيل الاصلاح نفسه ونفيسه غير مدخر عنهم اية قوة او عاطفة حتى اجتذب بحسن خلقه العظيم قومه الاقربين منهم والابعدين واستكثروا فيهم العلماء والنوابغ بعد ان كان اكثرهم امين إلى غير ذلك من اعماله الغر المتلالئة في اوسع التواريخ فقيامه بواجبة الاصلاح احسن قيام وانقاذه الامة بعدما كانوا على شفا

حفرة الهلاك والبوار وتأليفه لأشتات الافراد والاقوام خير تأليف واقواه يكفيك برهانا على استحقاقه طاعة الجميع له وان يكون بعد الامتحان والبرهان اهلا للامامة والزعامة.

النبي المطاع واعلام نبوته:

لابد لانتظام شمل الجماعة من رئيس مطاع مهما اختلفت اسمائه وسماته كالرسول بوحي الله والنبي المشرع والامام الحافظ للشرع والمصلح المهذب للمجتمع والمعلم المثقف للأفهام والملك المتولي لحاكمية الشعب بالسيف والسلطان او بالرضى والايمان والقائد المنصوب او المنتصب وقد تولى حاكمية شعبه محمدﷺ بما سمي ولم يسم فقد سادهم بشرف نسب توارثت فيه الرياسة من إبراهيم فإسماعيل إلى قصي فهاشم كما سادهم برسالة من الله كاملة الاشراط ونبوة محكمة الشرع وامامة جامعة مانعة فكان فيهم خير مرشد ومعلم واكبر مصلح وحاكم يسألهم في غدير خم «الست اولى المؤمنين من انفسهم فيجيبونه اللهم بلى» ويفادونه بالآباء والابناء ويضحون في سبيله النفس والنفيس لما رؤى منه آيات الصدق والاخلاص وبينات العلم والحكمة وكما استولى بالرياسة العامة من كافة وجوهها فقد استوفي من اشراط النبوة كما تم لموسى وعيسى وسائر المرسلين (١) علائم الرسل عليه صادقة (٢) الصحف الحقة فيه الناطقة (٣) شمائل الاولياء ومخايل العظماء وسيماء الصالحين فيه متفقة (٤) عجائب المعجزات منه ترى (٥) مخافة الله لا تبارحه سراً وجهراً مع انه راجح الراي ناجح الراية عقد النصر عليها اكليل الظفر فتوالى على

امره الانتصار بعد الانتصار كما توالى على خصومه الانكسار بعد الانكسار افليس في كل هذه[1] كفاية لخضوع الرقاب لديه وانعطاف الوجوه اليه واذعان القلوب له.

يتلخص من هذه وما سبقه من سيادة الظلم والجاهلية واطباق الفساد والوثنية ان المقتضى لرسالة المصطفى كان موجوداً وكان المانع عنه مفقوداً فالعقل قاض بثبوت مثله كما ثبت في محله ماذا تنتظر من محمدﷺ كنبي.؟

سوى ان ينقذ القوم من الجهالة والظلالة وقد فعل او يهدي الشعب إلى سنن الحياة الراقية والعيشة الراضية وقد فعل. او يسن لهم منها ما جاء قوياً وشرعاً محكم القواعد يتكفل لسالكيه سعادتهم وسيادتهم وقد فعل. فحمد المصطفىﷺ ادى امتحان نفسه القدسية وامتحان شرعه الاقدس فما علينا الآن سوى الاذعان لشخصيته الفذة والخضوع لعبقريته المثلى والايمان بحكمته والاطاعة لحكمه وان نتخذ شخصيته المطاعة اماما والمثل الاعلى الخالد.

القرآن كتاب الله المقدس:

اعني بالقرآن ذلك الكتاب المعروف بين المسلمين في ١١٤ سورة لأكثر ولا اقل اللهم الا في تقديم سورة او آية وفي قرأة بعض الكلمات المحفوظة عن قرائها السبعة .كتاب لاريب فيه هداً للمتقين ورحمة للمؤمنين وهو صورة محسوسة تمثل شريعة الاسلام الواسعة ومتن موجز من دائرة معارفه وعلومه النافعة وخير منهاج للمؤمنين به يتعهد لهم النجاة وسعادة الحياة ان تدبروا معانيه ومرامه تدبر

---

(١) وقد جمع الرواة (كما قال الشيخ المفيد) من عجائب المعجزات وغرائب الارهاصات واعلام النبوة والانباء الغيبية الف دليل على نبوة المصطفى محمدﷺ.

الصدر الاول وعملوا بأوامره ونواهيه عمل السلف الصالح وقد اخرس الله تعالى بلفظه المعجز شقشقة الفصحاء الاوائل كما ادهش بأسرار معانيه علماء الاجيال حتى الاواخر واجتذب قلوب سامعيه جذبة دونها جذبات الفاتن والساحر حتى سماه الوليد: سحر محمد: وسرت مبادئه في افاق البسيطة وفي خيال العالم والجاهل والشيخ والشباب حتى سماه الافرنج برق محمد وجمع شتات المسلمين على اختلاف الوانهم وتباعد اوطانهم حتى سماه مستر غلادستون مغناطيس محمدﷺ وقد ابدع بعضهم في تصوير القرآن ومظهره ومظهره اعني بهما الاسلام والنبي محمدﷺ في وصفه المثلث الاضلاع وهو (المسترولز) اكبر كتاب في انجلترا على الاطلاق اذ قال الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدينة أن سارت هي الديانة الاسلامية واذا اراد الانسان ان يعرف شيئاً من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع فهو كتاب ديني علمي اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي.

وكثر من انظمته وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي وستبقى حتى قيام الساعة واذا طلب مني أحد ان احدد له الاسلام فإنني احدده بالعبارة التالية (الاسلام هو المدنية) وهل في استطاعة انسان ان يأتيني بدور من الادوار كان فيه الدين الاسلامي مغاير للمدنية والتقدم.

وكان النبي محمدﷺ زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً وأقرأ ما جاء في احاديثه تتحقق صدق ما أقول ويكفينا قوله المشهور:

(**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع**) هو الاساس الذي بني عليه علم الصحة ولم يستطع الاطباء على كثرتهم ومهارتهم ان يأتوا حتى اليوم بنصيحة اثمن من هذه.

وقال ايضاً: القرآن هو الكتاب الرابع الذي أنزل لهداية البشر وقد حوى اكثر منها كلها فنون العلم وتوحيد الاله وطارد الوثنية اكثر من كل كتاب ونرى انه اكثر فلا تجد فيه شيئاً من أضاليل القسوس ومناقضات العقول. وتوسع (ولز) كغيره عن بساطة القرآن وتساهله وسهولته...

اجل للوحي القرآني ميزات في نظر الغربي وميزات في نظر العربي فمن ميزاته لدى قرائه من العرب رقة اللفظ وعذوبة الاساليب وبلاغة المعاني وطلاوة الحديث وقساوة القلب واغتذاء العقل ومن ميزاته عند غير العرب اجتذاب العواطف والاعجاب بما فيه من عظمة في تساهل وسهولة في امتناع ودهشة للعقول من اسراره وعلومه وهو على سبيل الاجمال طري في كل زمان وطلي في كل جيل وقد سئلوا الامام جعفر الصادقعليه السلام عن سبب كون القرآن غضاً طرياً لا يمله قارئه مهما توالت عليه التلاوة بعد التلاوة فأجابهم ان القرآن نزل كتابا عاماً لا يختص بزمان دون زمان ولا بأمة دون امة فينبغي ان يكون كذلك.

سيد الرسل وسيد المعجزات

ماهي المعجزة ولماذا:

المعجزة عبقرية في اعمال النبي متى سطع نورها على ابصار الناظرين اورثت فيهم دهشة تسوقهم إلى الاذعان.

وان معجزا ينعت بهذا النعت الجليل لحري بان يسمى آية النبوات او سلاح الانبياء وان يعده العامة علامة بين الخالق والخليقة يعرف بها النبي من المتبنى.

ولماذا اضطر الله انبيائه إلى استعمال هذا السلاح سلاح الاعجاز وآية العبقرية السماوية فلا يتلى تاريخ نبي الا ويتلى معه مدهشات العجائب والغرائب اجل تلك ضرورة لامناص منها للرسل المصلحين فأنهم دعاة القلوب إلى جهاد الهوى ومستخدموا النفوس ضد الشهوات ومستحيل (والله) اخضاع الطباع ضد الشهوات والعادات بغير قوة قاهرة وبدون اي سلاح نافذ.

واي قوة قاهرة او سلاح نافذ الاثر لدعاة الخير ورسل السلام امضى من عبقريتهم الباهرة التي تدع العقول في ذهول وتسوقها الى الاذعان والقبول فتؤمن حياة مبادئهم السامية بابر الوسائط.

معجزات النبي:

لا فخر في ان سيدنا محمدﷺ آية الله ومعجزته اذ كل مخلوق لله آيته ومعجزته وكل كائنة صغرى او كبرى آية الله ومعجزة للبشر.

وقد قال (توماس اديسون) المخترع الشهير للفنوغراف وغيرها لفورد (ان ظفري قد سقط اليوم ولا يستطيع اهل الارض ان يصنعوا مثله تماماً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولكن الله يصنع لي مثله بعد شهر) فالخليقة باسرها آية الله الظاهرة ومعجزته الباهرة.

اما اذا عدت افعال سيدنا محمدﷺ او اشباه محمد آيات ومعجزات فهنالك للفخر والاثر.

اذ هو بالرغم من كل غلو فيه بشر وابن بشر فأني له ان يفوق البشر من ذاته وبذاته كلا ثم كلا. فلا يوجد في الوهم قياس منطقي يرجح انساناً على الملايين من قبيلة لولا عناية من الخالق بشأنه ولكن النبي محمدﷺ فاق الانام في خلقه المدهش في شرعه المدهش في قرآنه المدهش!!

اعجاز القرآن:

ادهش القرآن بلا ريب نوابغ العرب واخرس شقشقة البلغاء في عصره!

ألا سلو به الرائق ولفظه الريق ونظمه المعجب ام لبدايع معانيه الجذابة وعظمة مبادئه ولطايف امثال فيه؟

نعم لا نعلم وانما نعلم انه ادهش ويدهش العربي العارف وربما كان اثره في العامة بالأولى وانه في الخاصة بالأخرى وبأنبائه الغيبية وبأسرار في اشاراته.

اجل ذا القرآن مدهش من اي وجه كان. وآية عبقريته ساطعة. وقد استعان به منقذ العرب بعدما ما غدوا سكارى بخمرته فأحي ذكرهم واصلح امرهم وادبهم كما شاء وشائت المصلحة واستخرجهم من ظلمة العادات القاسية إلى ضياء عيشة راضية ثم استخدم او لائك المهتدين بانوار القرآن كألسنة لدعوة الامم وسيوف لإدانة العالم.

ميزة القرآن بين المعجزات:

للقرآن ميزات كثيرة لا يسمع المقام تعدادها مهما بالغنا في الاختصار غير ان اكبر ميزة فيه (وهي التي وضعته فوق المعجزات كلها) هي انها مجموعة فصول ليست سوى صبابة احرف عربية من جنس كلمات العرب بل ومن ايسر اعمال البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية ولم يخلق رب الانسان للإنسان عملا بعد الا فتكار ايسر لديه من الكلام.

وكلما كان العمل البشري ايسر صدوراً واكثر وجوداً قل النبوغ فيه وصعب افتراض الاعجاز والاعجاب منه غير ان الفصول القرآنية على انها صبابة احرف العرب ومن جنس ايسر اعمالهم تجد العبقرية فيها ظاهرة باجلى المظاهر السامية على عبقرية مكل شاعر وساحر وتراهما على اعظم جانب من التأثير مع أنها كما اشار إليها القرآن عبارة عن: ا .ل .ك .ه. ي.ع. ص الخ.

هي الاحرف العربية المبذولة ولكن تأليف امثال آية فوق وسع العرب والعجم.

يقال والقول صحيح (الناس كالناس والايام واحدة) فاصدق محلك لمعرفة أحوال الاولين هو مطالعة احوال الاخرين وقياس الماضي على الحال.

هـذا ونـرى النـاس في عهـدنا مطبـوعين عـلى اسـتحباب الشـهرة والاثـره وطلـب التفاضل والتفاخر فاذا رأوا احدهم يبغي التفوق عليهم بصناعته انـدفعوا بكـل قـواهم إلى مباراته وجدوا لكي يأتوا بخير منه سيما اذا اطمأنوا من نفعه. وقـد فطـر البـشر عـلى مثل هذا الشعور ليتكامل رقيـه الادبي وينـال بـه التفـوق الصـناعي والمـدني (سـنة الله في خلقه ولن تجد لسـنة الله تبـديلا) والشـعب العـربي المعـاصر للنبـيﷺ كـان ولا ريـب منطوياً على هذا الشعور تماما فلماذا لم يندفع إلى مباراة القـرآن سـيما بعـدما شـاهدوا مـن صناعة هذا النبي فائدة وعائدة!

ولم لم يعارضوا عبقريته في البلاغة وهو فردهم الـوف؟ العـدم وجـود أسـاتذة قـبلهم لهذا الصناعة؟ كلا فقد كانت تربة الحجاز خصبة منبتة لأساتذة الفصاحة والبلاغة.

وكانت مكة حضيرة اربابها ومنـاخ ركابهـا فلـم لم ينـدفعوا إلى معارضـته بالمثـل وهـو المعارض لهم بكل ما يستطيع من قوة؟

ولماذا اندفعوا إلى مقاتلته دون مقابلته بالأسنة بدل الالسـنة وبـالحراب بـدل الكتـاب حتى افرغوا كتائبهم برمى اخر نبلة فيها ولم ينجحوا ولماذا اندهشت عباقرتهم من ملوك النثر والنظم حتى ضيعوا عـلى اثرهـا عقلهـم فضـاعت بـذلك بضـاعتهم. ليـت شـعري وبـم اعجـزت عبقريـة ذلـك المستضـعف فـيهم وهـم الـوف ومعتـزون بـألوف وكيـف اعجزتهم اسطر وكلمات وحروف.

التحليل والتعليل:

حري بنا ان تحلل هذه الدهشة الغربية واسـبابها الحقيقيـة ونقـيس انفسـنا (ونحـن في القرن العـشرين) على اولئك الاساتذة (وان كانوا في القرون الاولى) قياساً حسب ذلك المقياس القائل (النـاس كالنـاس والايـام واحـدة) فـاذا عـم الاعجـاب بـالقرآن اسـاتذة

عصرنا الراقي فلا نلوم المعجبين بالقرآن في القرون الاولى. وقد راينا استاذ البلاغة في جامعة الامريكان البيروتية (جبر ضومط) في كتابه الخواطر الحسان يكثر الاعجاب من آيات القرآن وبلاغتها.

وقد تمثل بآية: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾.[1]

فتصور للتلفظ بها صورا اربعاً ثم ارتأى انها باسرها لا تبلغ مبلغ الموجود في القرآن من خسن السبك وبلاغة المعنى.

وهكذا الدكتور شبلي شميل: معجب بعبقرية القرآن في مواضع من مقالاته المنشورة ويقول في قصيدته المشهورة:

دع من محمد في صدى قرآنه ... ما قد نحاه للحمة الغايات

اني وان قد كفرت بدينه ... هل اكفرن بمحكم الآيات

ومواعظ لوائهم عملوا بها ... ما قيدوا العمران بالعادات

إلى قوله:

نعم المدبر والحكيم وانه ... رب الفصاحة مصطفى الكلمات

رجل الحجا رجل السياسة والنها ... بطل حليف النصر في الغارات

ببلاغة القرآن قد خاب النهى ... وبسيفه انحى على الهامات

من دونه الابطال في كل الورى ... من غائب او حاضر او آت

---

(١) القصص: ٢٠.

ولو استقصينا اقوال نوابغ العصر حول اعجابهم من القرآن على اختلاف مللهم ونحلهم امثال (كارليل) و(ولز) و (صال) الانجليز و (تولستوي) الروسي و(مونتيه) الفرنسوي وغيرهم لتألف منها كتاب وكاد البحث يحيد بنا عن الموضوع موضوع تحليل دهشة الاولين الذين قهرتهم عبقرية النبيﷺ الامي وقرآنه فأعود قائلاً:

اذا قام بيننا البناء والحداد ينضمان القريض الجيد اعجبنا حسن القصيدة من جهة واعجبنا تفوقها على النظم من جهة اخرى لانهما عاميان اميان لم يأخذا من الدراسة والكتابة به حظاً فمحمد الامي المخاطب بآية ﴿**وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾.[1]

ربيب البادية وخريج حي بني سعد ينهض في ام القرى بدعوة نسخ الانظمة وتعديل الشرايع واصلاح العالم هذه من جهة ومن جهة اخرى انه افنى قواه في معارضة اقوام سلفة وكابد الاذى والاسى من الافواه والايدي وقضي حياته في ادارة الحروب والمغازي وهو ما بين هذه وتلك يأتي بكتاب يعجز عن مباراته بلغاء عصره ونوابغ دهره لابد وان يدهش امره وحق لهم ان يندهشوا لان الرجل الامي قد يفوز بالعبقرية ولكن عبقريته لابد وان تتجه. اما إلى ميادين الحروب فيكون من عظماء الفاتحين او تتجه إلى اندية الرأي ومجالس الشورى فيكون من كبار الساسة والدهاة.

واما من يجمع تلكما الحسنين ويضيف إليها نبوغ العلم نبوغاً في النظم نبوغاً في التشريع نبوغاً في جلب عواطف الخاصة والعامة فلم يسمع به التاريخ ولم يسمح به الزمان وربما عد الفن وجوده ضرباً من المحال فأن النبوغ في بعض الخصال نتيجة اتجاه

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٨.

الطبيعة بقواها إلى القلب وحده والنبوغ في بعض الخصال نتيجة اتجاه الطبيعة بقواها إلى اعضاء اخرى.

اذن فالدهشة طبيعية لدى مشاهدة بطل هكذا. بطل في العلم والنظم معاً. بطل السياسة والفلسفة معاً. بطل في الادارة وفي مداراة الخاصة والعامة جميعاً. بطل في التشريع والتنفيذ حتى على نفسه.

بطل في كل ذلك وفوق ذلك انه امي غير متعلم ويعيل بعشرة ازواج وكلهن يبتغين منه العدل والاحسان. ومن وراء ذلك كله يأتي الناس بكتاب يتحداهم إلى مباراته ويتحمس في وجه العموم ان يأتوا بمثله ولا يأتون.

مدهش وربك هذا الرجل الفذ ومدهش كتابه الفذ واكثر ما يعجب فيه ان لم يتخصص بفن واحد من الفنون لا في الفاظه ونظمه ولا في معانيه وحكمه فبينما تراه يتحدث ببلاغة عجبى وامثال عليا اذ يجري في ميدان العلم او مضمار الفلسفة ويبدي من اسرار الطب والطبيعة وكائنات الارض وكائنات السماء ونواميس المواليد مالا تفي بشرحه الصحائف مما نطق به امس وانكشف سره اليوم بفضل الادوات المخترعة والفنون الآلّية المتنوعة.

والحالة انه لم يملك شيئاً منها يوم اخبر عنها ثم تراه خائضا في تاريخ القرون الخالية والامم البائدة على غير مستند على اثار او اسفار وتأتي الحفريات والاثريات مصدقتين له وشارحتين بعد قرون واجيال وبعد ان ترجمت كتب الاقوام.

وكـذلك تـراه يسـن نظامـاً وينسـخ احكامـا غـير مسـتند في ذلـك إلى مشـورات او مؤتمرات ولكن الظروف الاخيرة والتجارب المتعاقبة ومؤتمرات عصورنا العالية تذعن وتعلن اتفاقها لأحكام القرآن عـدى انبائـه الغيبيـة عـن احـوال افـراد واقـوام وعواقـب اقيال واجيال.

هي هي (والله) بواعث الاعجاب والدهشة العامة التي اعترت وتعتري النـاس مـن عرب ومستعربة كلما تلوا القرآن او تليت عليهم آياته وفسر ببياناته.

الإخوة الإسلامية

اول ما يلاقي المسلم اشباهه في الجامعة الاسلامية يأمره التعليم الديني بالسلام فالمصافحة رمزان عن التسالم والتعاون وهما قطبان تدور عليهما الحياة الاجتماعية وركنان تقوم بهما الرابطة الاسلامية التي شدت وتشد بعروتها الوثقى ابناء التوحيد ربطاً متيناً ما اصدقه واوثقه واقواه بالقياس إلى الروابط الاخرى..

تلك مدرسة جامعة جمعت في صفوفها صنوفاً من البشر المتهافت إليها من انحاء الارض على اختلاف الوان وتباعد اوطان وتنوع في المذاهب والمشارب ففيها السني والشيعي والا باضي والمتوهب.

وفيها الجعفري والحنفي والحنبلي والشوافع والموالك. وفيها العربي الاسمر والفارسي الاحمر وابيض جورجي واسود زنجي مجذوبون إلى مغناطيس قرآنها من مصرها وسودانها وهندها وإيرانها وتركها وطورانها وصينها ويابانها وروسها وافغانها وعراقها وعمانها ومن جزر الارخبيل والجزائر إلى الجزيرة العربية.

جمعت جميع المنتسبين إلى جامعتها باسم الله مأدبين بآداب الله متمسكين بكتاب الله معتصمين بحبل الله مثقفين بدروس استاذ كرسول الله ﷺ.

وقد جاهد هذا الاستاذ الاعظم في توحيد الامة واخوة المسلمين وتأليف قلوبهم جهاداً كبيراً يشهد له التاريخ وتبدو طلائعها من ثنايا فروض الدين والسنن ودعى إليها القرآن الحكيم كشيء من اهم التعاليم اذ قال: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾[1]: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾.[2]

﴿**وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾.[3]

﴿**فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً**﴾.[4]

و﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ**﴾[5]، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾.[6]

فعد المشرع الاسلامي كل داخل في شريعته والمتلمذ عليه في مدرسته كالأخ الشقيق والولي الشفيق لسائر زملائه وشركائه ونزلهم منزلة البنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وكان اعتصام المؤمنين بحبل الله واتحادهم بكل معاني الاتحاد فيما سلف سبب انتصارهم على من سواهم وما ضعفوا الا من وراء ضعف الرابطة مذ دب فيهم دبيب التفرقة إلى مذاهب وشيع واحزاب وتناكرت قلوبهم باختلاف الآراء هذه علة الضعف وتلك داعية القوة صدقت في ذلك التجارب على المسلمين كلما دخلت منهم امة او

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٢) سورة ال عمران: ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٥) سورة الفتح: ٢٩.

(٦) سورة الحجرات: ١٠.

خلت امة وصحت هذه القاعدة في كل امة كانت من قبل بل الامر جار بعينه في صنوف الحيوان مثل ما صح في امم البشر كذلك حتى الجماد فان الماء المنقسم اقرب إلى الفناء بالتبخر من الماء المتجمع لذلك كان الامام علي عليه السلام احرص الناس بعد رسول الله على صيانة كلمة التوحيد الكلمة واشدهم نكاية ونكالا على دعاة تفريق الامة وسعاة تمزيق الوحدة الاسلامية قائلاً:

(ومن دعاكم إلى هذا الشعار – يعني شعار التفرقة – فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه):

وهذا غاية في مبالغة الحث على الالفة والاحتراز من الاختلاف وكم صفح عن حقه وصفاح من عارضه خشية ان تنصدع بيضة الدين باختلاف المسلمين.

ولماذا تختلف؟

والدين واحد والنبي واحد والهنا واحد وكتابنا واحد والقبلة واحدة والشعائر واحدة و كلنا في رعاية المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسالكون في مدرسته الجامعة منهاجاً واحداً وتعاليم متحدة الملال تسير بنا إلى غاية واحدة.

اجل حدثت في الجامعة اراء و اهواء فاختلفت واختلف من جرائها جموع من ابناء هذه المدرسة ولا تنفك مدرسة ما من تضارب الاراء واختلاف الاهواء الا ان العقلاء منهم لا يبرحون عن الفتهم واخوتهم ويعطون كل رأي حقه وكل ذي فضل فضله متبعين قوله سبحانه ﴿**فَبَشِّرْ عِبادِ*الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾.[1]

---

(١) سورة الزمر: ١٧-١٨.

وبالرغم من كل اختلاف حدث او سيحدث في صفوف هذه الجامعة فالأخوة الاسلامية قائمة ودائمة ومدارها على الشهادتين اي شهادة (ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله) بهما تحقن الدماء وتحفظ الحرمات وتقبل العبادات وتصح المناكح وتجري المواريث وتسري الاخوة بين المسلمين وبذلك نصافح كل الطوائف الاسلامية اعزهم الله وحماهم.

العقيدة بالله

توجه الخلائق نحو الخالق:

للإنسان منذ عرف تاريخه توجه خاص وعبادة مخصوصة لشيء يعتقد انه الخالق له ولكافة الكائنات وأغنى لفظة لمعنى هذا المعبود الذي توجه الانسان إليه لفظة الاله واجمع الاسماء المشيرة إلى مسماه اسم (الله).

وله جذبة للنفوس فوق جذب المغناطيس فما أسهل التلفظ بهذه الكلمة الموجزة وما أصعب التبحر في اقيانوس معناها واقل ما يمجد به انه روح الكون ومهندسه الاعظم وانه العلة الاولى والمثل الاعلى وان الاعتقادية والتوجه إليه غريزة في الانسان .

وان العقيدة بالله كانت المحرك القوي في نهضات الافراد والامم وخير رابطة في الشعوب ولولا حبلة المتين لانفرط عقد المجتمع الانساني الذي تحلى به جيد الكون وصدر الزمن فلا جل التوصل إلى هذا السر الغامض بقدر الطاقة البشرية يجدر بنا الالمام بعبارات واشارات سجلت عن ينابيع الوحي الالهي وعن عقول اولي الالباب الناضجة كيما يتقرب الفهم من تدبرها إلى معرفة الله تعالى وحسن العقيدة به.

آيات قرآنية في معرفة الله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.(١)

و **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾**(٢)، **﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾**.(٣)

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.(٤)

و **﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ﴾**.(٥)

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها* رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها* وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها* وَالأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها* أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها* وَالْجِبالَ أَرْساها* مَتاعاً لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ﴾.(٦)

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى*الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى﴾.(٧)

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

(٣) سورة الإنعام: ١.

(٤) سورة هود: ٧.

(٥) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٦) سورة النازعات: ٢٧-٣٣.

(٧) سورة الأعلى: ١-٣.

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهارَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ* وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ﴾.[(١)]

﴿ذلِكَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.[(٢)]

﴿قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾.[(٣)]

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾.[(٤)]

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[(٥)]

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[(٦)]

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾.[(٧)]

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.
(٢) سورة السجدة: ٦.
(٣) سورة طه: ٥٠.
(٤) سورة المؤمنون: ٧٨.
(٥) سورة الروم: ٢١.
(٦) سورة البقرة: ١٦٤.
(٧) سورة آل عمران: ١٩١.

﴿أَ لَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً* وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾.[(١)]
﴿أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ* أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ﴾.[(٢)]
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَأَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.[(٣)]

احاديث في معرفة الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اول العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض الامر إليه**».

وقال علي عليه السلام: «**اول الدين معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفاة عنه**» الخ.

وفي الحديث القدسي:

«**كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف**» وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**وبعلم خبره فتق وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق إلى قوله وهو الكيون اولا والديوم ابداً**»...

وقال صلى الله عليه وآله «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**».

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام لمن سئله هل ركبت البحر وتلاطمت بك الامواج قال: «نعم قال فهل توجه قلبك بعد اليأس عن الناس إلى شيء قال نعم قال ذلك هو الله... اقول يعارضه قول الامام نفسه كلما تصورتموه بأفهامكم في ادق معانيكم فهو مخلق منكم مردود إليكم الا ان يقال بان الغرض في الثاني نفي الصورة الذهنية في

---

(١) سورة النبأ: ٦-٧.

(٢) سورة الواقعة: ٥٨-٥٩.

(٣) سورة يس: ٣٣.

العبادة واما المراد من الخبر الاول فهو ان التوجه في تلك الحالة يكون إلى الله من دون معرفته بكنه ذاته: وقال النبيصلى الله عليه وآله «**ما عرفناك حق معرفتك**» وقال الإمام عليعليه السلام «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا**».

وقالعليه السلام انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها ، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدها في مستقرها.

تجمع في حرها لبردها، وفي ورودها لصدرها، مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها. لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا، ولقيت من وصفها تعبا .

فتعالى الذي أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه في خلقها قادر.

ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ، ما دلتك الدلالة إلا أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شئ، وغامض اختلاف كل حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء، وكذلك السماء والهواء والرياح والماء.

فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات ، والألسن المختلفات . فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر.

زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع.

ولم يلجأ وا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق لما أوعوا. وهل يكون بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان .

أراء الفلاسفة القدماء:

قال ارسطو طاليس:

(ان التقليد العام عند كل الشعوب منذ القرون الاولى يعلمنا ان الكائنات باسرها من الله صادرة وبالله قائمة).

وقال:بلوتر خوس:

انك اذا التفت ترى مدنا كثيرة لا علم فيها ولا سياسة تحميها ولا صناعة او حرفة ولا غنى الا انك لاتجد مدينة ما ليس فيها معرفة الالوهية.

وقال: فولتير:

انا سألنا زور، واستن، ومينوس، وصولون، وسقراط الحكيم، وشيشرون العظيم نراهم جميعاً قد عبدوا سيداً وقاضياً واباً فهذه العبادة هي ضرورية للإنسان وهي للألفة رباط مقدس وللعدل اساس وطيد وللشر لجام كالح وللخير رجاء صالح فلو لم يكن الاله موجود لدعت الضرورة ان يخترع وجوده وانتم يا ملوك الارض اذا ثقل عليَّ جوركم ولم تؤثر فيكم دموعي الحارة فتذكروا ان المنتقم البرىء هو في السماء..

قال اغناطوس وبوتير كغيرهما:

ان الشعوب الارضية كلها متمسكة من اقدم تواريخها بإيمان وعبادة الله حتى الوثنيين الذين يعبدون الاصنام كوسطاء وشفعاء والجزر المكتشفة في القرون الاخيرة وجد فيها مكتشفوها عبادة الله سابقة عليهم وعلى الآثار التاريخية في هاتيك الجزر الامر الذي دل على ان البشر كله طائفة واحدة في عبادة الله فطرة.

قال راسم:

اجل واجب الايمان باله لا يرى وكم من شاهد ينتصب امامي من الرفيع الاعلى الى الارض السفلى لا قامة مجد ذلك الاله المستور الخ.

اراء فلاسفة الافرنج في الخالق:

قال باسكال:

الخالق كرة لانهاية لها مركزها في كل مكان ومحيطها ليس له مكان.. وقال لامارتين: ان الضمير خاليا من الله كالمحكمة الخالية من القاضي..

قال جورد:

ان الله هو الناموس الاول الثابت الذي مستمدة منه الكائنات وجودها وترقياتها..

وقال تنس الانجليزي:

ان كان الاعتقاد بالله صعباً فأنكاره اصعب...

وقال روسو الفرنسوي:

السموات ترشد الارض باحترام المبدع لها..

قال فوليتر الفرنسي:

لا استطيع الزعم بان هذا النظام الفلكي يقوم من غير صانع.

وقال ديكارت:

ان لفظة الله معناها هيولي لها ازلية ابدية مستقلة عالمة بكل شيء قادرة على كل شيء.

وقال هبكولان في كتابه المؤلف سنة ١٩٢٦م بعنوان- من المادة إلى الحياة- ان تطورات المادة وعوامل الطبيعة فيها لا يمكن ان توصلنا إلى تعليل وجود الحياة في

الاحياء فلا بد من وجود خالق بعث الحياة في النبات والحيوان في اول سلم نشأها وعنده ان من يقول غير ذلك ضعيف العقل او دجال يتكلم باسم العلم من غير علم.

ولو شئنا ان تخص الكلمات المتلألئ حول معرفة الله عن فلاسفة الامم ولا سيما الافرنج امثال مونتيه وكامبيل فلامريون واوليفردوج لا وجدنا مجلداً ضخما.

(حول اثبات الخالق)

معرفة الله فطرية:

مهما اعترضنا الشك في شيء فلا نشك في اننا مخلوقون وان لنا خالقاً اوجدنا بعد ان لم نك شيئاً والحس العام او فطرة الانسان والحيوان قاضيه قضائها الصارم بان الحادث الموجود لا يكون حادثاً وموجوداً من غير محدث وموجود قطعاً كلما لا يوجد معلول من دون علة وكما لا يحدث شيء الا بسبب حتى ان الحيوان الاعجم عندما يسمع صوتا او اثراً ينهض للبحث عن مؤثره وموجوده ويسعى وراء العثور على اصل الحركة ومنشأ الاثر لأنه مجبول على اعتقاد ان الشيء لا يحدث من دون سبب واعتقاداً منه بالملازمة القطعية بين الاثر والمؤثر له: هذه قضية لا يختلف فيها اثنان ولا يقدم على انكارها انسان او حيوان ولما سئلوا الاعرابي (من اين عرفت ربك) اجاب (العبرة تدل على البعير واثر الاقدام يدل على المسير افسمآء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير؟).

قالت دائرة المعارف الوجديه (العقيدة وجود الخالق فطرة فطرت عليها النفس الانسانية وهي في مرتبة العلوم الضرورية التي تحصل له كثمر من ثمرات عقله فمن المعارف الانسانية الضرورية بل الحيوانات ان كل شيء له علة توجده فاذا نظر إلى الكون واستعرض ما فيه من الكائنات حدث له علم ضروري بأنها لم توجد صدفة فلا

بد لها من موجد اوجدها: هنا يستوي الطفل والشيخ والجاهل والعالم بل الاحياء جميعاً ولو وقف الناس عند هذا الحد من الاعتقاد بالخالق لما اختلفوا في اديانهم) الخ.

وقد سبق القرآن الكريم فأشار في آية ﴿**أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ**﴾.(١)

إلى بداهة هذا الامر وان معرفة الخالق فطرية في الانسان فلا تردد (مبدئياً) في المبدأ الاولى ولا شك في انتهاء الاشياء إلى العلة الاولى والسبب الاعلى وانما الشك والخلاف طرء على الفكر في اوصاف الخالق ونعوته.

من انه واحد او متعدد؟ عالم او غير عالم؟

فاعل بالإيجاب او بالاختيار؟

متصرف في الكائنات عن غاية وقصد او بدونها؟

متناه او غير متناه؟ يدرك الجزئيات كالبصيرة والسميع أولا يدرك؟ مجرد عن الجواهر والاعراض وعن لوازم المواد والقوى اولا؟ عادل في افعاله بالضرورة او يجوز عليه الظلم وارتكاب ما نحسبه قبيحاً؟ إلى غير ذلك من موارد الاختلاف في نعوته لا في اصل وجوده.

مذاهب العرب في الخالق:

يشير القرآن الحكيم إلى مذاهب العرب حين قيامه بإيصالها فقد كان في العرب من يزعم السبب في وجوده ابواه ولا خالق له سواهما كما لا يزال لهذا المذهب في الهند فئة يعتقدونه قال سبحانه ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**﴾.(٢)

---

(١) سورة إبراهيم: ١٠.

(٢) سورة الواقعة: ٥٨-٥٩.

والمذهب الثاني اعتقادهم بأنكار المبدأ كما اشارة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾.[١]

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٢] و ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.[٣]

وهذا كالذي قبله متحد الآمال في انكار الخالق المتعال نعم قامت بداهة العقل والعلم وتشهد بان المخلوق لابد له من خالق. وان الصدفة ليست خلقاً بلا علة وانما هي خلق بلا غاية وان الحادث لابد له من سبب هو العلة التامة في ايجاده والابوان من قبيل العلل المعدة والعلل الناقصة دون التامة فكم يجتمع الابوان لإيجاد نسل ولا يحدث منهما اي نسل او يبتغيان ولداً ذكراً ولا يولد منهما سوى الانثى.

اجل لا يحتفل برأي في حقيقة الخالق غير رأين رأي انها الخليقة إلى الطبيعة وحدها ورأي انهاها إلى ما فوق الطبيعة وحده اي الله ربنا ورب كل شيء ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾.[٤]

أدلة الاقدمين في اثبات الخالق:

لا يوجد قضية مبحوث عنها في البشر كقضية الخالق ونعوته اجل ان اكثر القضايا تحل من جهات محصورة وعلوم محدودة ولكن مسئلة الخالق واثباته لا تختص بعلم واحد ولا بحجة واحدة فهي تقبل الاحتجاج والتعليل من عامة العلوم بلا تخصيص والحجج لإثباته لا تحصى غير اننا نختار اسهلها على العقول تصوراً وقبولا وامتها في

(١) سورة المؤمنون: ٣٧.
(٢) سورة الجاثية: ٢٤.
(٣) سورة الطور: ٣٥.
(٤) سورة النجم: ٤٢.

العلوم أصولاً. وقد سبق افلاطون أئمة اللاهوت فأستدل بها خلاصته ان العالم المشاهد لمحسوس تغيره وكل متغير حادث فلا يليق بان يعد ازلياً ابدياً وبما ان الحادث لا يعقل ان يحدث من غير سبب يحكم الفطرة وبداهة العقول فالعالم مخلوق من ناحية ذات قديمة لا توصف بالحوادث ولا بالتغير وهي الله:

واشتهر ارسطو في الاستدلال على الخالق بحركات الاجرام وما لا فلاكها من الانتظام. وكانت فلاسفة الهند تعول في الاستدلال على الخالق بالبحر وعجائبه واحوال الماء وصفاته كما كانت حكماء الفرس تعول على الشمس والقمر وسائر الانوار في معرفة الخالق والاستشهاد بها عليه.

وكان الطبيعيون يستشهدون على وجوده بالحركة وضرورة انتهاء كل متحرك إلى محرك لا يتصف بالحركة ولا السكون واتبع قدمائنا طريقة النوبختي في الياقوت فاستدلوا عليه من طريقة نفي الدور والتسلسل وخلاصتها ان الموجود لا يخلو من ثلاثة فأما ان يكون واجباً وجوده او مستحيلا وجوده او ممكن الوجود والعدم معاً ولا ريب في انتفاء القسم الثاني اعني المستحيل كما لا ريب في ثبوت القسم الثالث اي الممكن.

واما الاول وهو الجواب فان كان موجوداً لاستناد وجود الممكنات إلى وجوده فهو المطلوب وان لم يكن موجوداً فلا يتم وجود الممكنات الا بطريقة الدور او التسلسل إلى ما لانهاية له والدور والتسلسل باطلان معاً.

ثم اعتمد المتأخرون عن الطوسي على طريقة ما بالذات وما بالغير.

وخلاصتها (ان صفة الشيء اما ان تكون ذاتية له او غير ذاتية وما بالغير يجب انهاؤه إلى ما بالذات كذلك الوجود للموجود).

وبالرجوع إلى القرآن نجد فيه غنية وشفاء للنفس فأنه استوفى الشواهد والادلة مما ذكر ومما لم يذكر فهو كما وعد قائلاً ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[(١)] وقد ارانا واسمعنا من الآيات والدلائل قدراً خطيراً سيتناول بحثنا منه شطراً. ونختم المقال بمثال ديكارت الفرنسوي المتوفي ١٦٥٠م مجدد الفلسفة في عصره قال لا نبلغ اليقين الا بعد الشك في كل تقليد فنشك في كل شيء حتى السماء التي تظلمنا والارض التي تقلنا ونتعالى حتى شك في القواعد الرياضية التي هي اثبت المعلومات البشرية ثم قال ان في هذه الشكوك كلها شيئاً لا يتناوله الشك ابدا وهو- انا-فانا موجود ولا يوجد ما يقنعني اني لست بموجود وبعد ذلك فأني لا اشك في اني لم اخلق ذات بنفسي. والا كنت اعطي خلقي الكمالات او كنت اخلق نفسي كما احب اذن فأنا مخلوق بذات اخرى فما هي تلك وان شعوري بوجود ذات كاملة اخرى اكمل مني لشعور اوضح من شعوري بان المثلث زواياه تساوي قائمتين ولو لم يصح مني هذا الشعور لما صح مني الشعور الاول اي لو لم احقق وجود الاكمال مني لم يتحقق مني تصور النقص للنفس ثم ان تلك الذات التي هي اكمل مني او الذات التي خلقتني لو لم تكن حائزة لجميع صفاة الكمال لاضطررت ان اطبق عليها عين القضية التي طبقتها على نفسي.. الخ.

وقال واني انا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها وناتجة منها وهذه معارف جمة كلما تأملت فيها بدقة ازددت اعتقاد بأني لم استنبط الشعور بوجود الله من ذاتي وحدها فلا بد ان الله وجودا مستقلا..

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

إلى ان قال وان وجود ذات متصفة بجميع صفات الكمالات وهي التي خلقت ذاتي هو لازم من لوازم فطرتي وقد ولدت حاملا امانّها في ثنايا ضميري.

الله وبرهان الطبيعة:

اذا كان لله في كل جسم آية توحيد وبرهان علم وحكمة فالطبيعة انطق الآيات دلالة على الخالق الحكيم. الطبية اسم للحالة الذاتية في كل شيء ومبدأ فعله الذاتي الصادر منه لا يفرض ولا بقصد عوض كالشمس في اشراقها والنار في احراقها فالمصدر الذاتي لفعل جامد بدون تصور الغاية وبدون تدخل العلم في البداية هو طبع الشيء وطبيعته فا فعالك الطبيعية تبدوا من ذاتك وتنسب إليها من دون ان يؤثر في انشائها علمك او اختيارك كجوعك وعطشك وموتك وحياتك بخلاف افعالك التي يؤثر في صدورها منك علمك وقصدك كالمشي والسباحة والكناية والصعود على السطح ففعل مثل سقوط الجسم من جبل فعل طبيعي ومصدره الذاتي الوحيد طبيعة لا تعلم الغاية منها والغرض.

اما الفعل المشتمل على مزية القصد والشعور فقصدي ومصدره العلم بالشيء عن قصد فيه وتصور للغاية منه فهل خالق الكون خالقه وخالق كل حي فيه عن علم وقصد او من مجرد اقتضاء الذوات بدون لحاظ الغايات؟

وجهان بل قولان. ذهب بعض الطبيعيين إلى انحصار العالم كله في الاجسام وقواها والطبايع التي هي فيها غير منكفة عنها وهي الكل في الكل ولا مؤثر في الوجود غيرها لكنما الجمهور يذهبون إلى ان الخليقة فعل ما فوق الطبيعة فعل عالم بما خلق قاصد امنة الغاية والغرض.

وحجتنا على الطبيعيين من الطبيعة ان العلة في التغيرات العالمية ان كانت وحدها الطبيعة وكانت ذات علم بالأثر وشعور بالغرض فهي التي يسميها المتدين (الله) باختلاف اسمّى ونزاع لفظي واذا كانت فاقدة الشعور بما صدر غير قاصدة الاثر كالشمس في الاشراق والنار في الاحراق لزمها.

أولا- ان لا يختلف اثرها وهي مختلفة الاثار وان لا يتخلف عنها اثرها ولا يشذ وشواذ الطبيعة ثابتات.

ثانياً- يلزمها ان لا تخلق الا عظاء لوظائفها الخاصة بها كما ينبغي وقد خلقها كذلك

ثالثاً- يلزمها ان لا تخلق مخلوقات عالمة وقاصدة وقد خلقت من الاحياء العالمة القاصدة مالا يحصر. اذ الطبع لا يخلق ضده ومعط الشيء لا يكون فاقده وموجود الاثر بالذات لابد ان يكون واجده فترى النور منيرا والنار تؤثر حروراً والجليد يوجد بردا ولو جاز في شريعة الطبيعة ان تهب مالا تملك جاز على الجليد ان يؤثر ضراما وعلى النور ان يخلق ظلاما وعلى النار ان تحدث برداً وسلاما.

وقد حاول زعماء المادة والطباعية ان يعالجوا ضعفهم تجاه هذا البرهان فقالوا ان الطبيعة خلقت حيا مجردا من العلم والقصد ولكن التمرّن في العمل اروثه علماً وقصداً تكاملا في سلالته كلما تناسلت او تسلسلت وقد فاتهم انه علاج بالداء لآنه لو صح تناسل عالم قاصد من جامد غير قاصد لانتقضت نواميس الطبيعة وجاز ان يتولد انسان من الصخر بينما الشيء لا يتولد الا من سنخه ولو جاز حصول بالتمرن فأن الشمس اقدم من الانسان ومن كل ما على وجه الارض ولم تتمرن ولا تمرنت المادة الصماء من قبلها ولا تمرن الانسان على الطيران وهو يحاوله منذ وجد على الأرض راقب الطيور.

ولو كان التمرن يولد في فاقدات القصد فصدا وشعورا لزم بالطريق الاولى تفوز الطبيعة بميزة العلم والقصد من فضل التمرن الجاري عليها من قديم الدهر فأنها خلافة العلماء والمريدين في زعمهم منذ الازل. ويتصافح عندئذ المؤمن بالله والكافر اذا كانت الطبيعة الخلاقة عالمة ومريدة.

اذن فالطبيعة الفاقدة للشعور والقصد والعارية من مزية الادراك والعلم حتى ولا بالتمرن هي في تدبيرها تحت تأثير مدبر فوق الكل يتصرف بعلم كلي وارادة كلية وان دق خفائه كما دق خفائها.

طريقة الامام الصادق في اثبات الخالق:

الإمام جعفر بن محمد المعروف بالصادقعليه السلام من مشاهير ائمة آل الرسولصلى الله عليه وآله توفي في مدينته سنة (١٤٨هـ) وخلّف للأمة ثروة علمية فائقة الحد في علوم الدين والفلك واسرار الطبيعة والكيمياء وروى كثيرون احتجاجه مع الزنادقة كابن ابي العوجاء والد يصاني وعبد الملك وممن رواه محمد بن يعقوب المتوفي ببغداد سنة (٣٢٨) في جامعة (الكافي) بالأسناد عن هاشم بن الحكم قال كان في مصر زنديق يبلغه عن ابي عبد الله -يعني الإمام الصادقعليه السلام- اشياء فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها وقيل له انه خارج بمكة فخرج إلى مكة فصادفنا ونحن مع ابي عبد اللهعليه السلام في الطواف وكان اسمه عبد الملك فضرب كتفه فقال له الإمام ما اسمك فقال اسمي عبد الملك فقال فما كنيتك فقال كنيتي ابو عبد الله فقال له الإمامعليه السلام فمن هذا الملك الذي أنت عبده امن ملوك الأرض امن ملوك السماء. واخبرني عن ابنك أعبد الآه الارض ام غيره فقال قل ما شئت قال هاشم بن الحكم فقلت للزنديق اما ترد عليه قال فقبح قولي فقال أبو عبد الله الصادقعليه السلام اذا فرغت من الطواف فأتنا فلما فرغ الإمامعليه السلام اتاه الزنديق

وجلس بين يديه ونحن مجتمعون عنده فقال الإمام للزنديق اتعلم ان للأرض تحتاً وفوقاً قال نعم قال افنزلت تحتها قال لا قال فما يدريك ما تحتها قال لا ادري الا اني اظن ان ليس تحتها شيء فقال الإمام عليه السلام:

«**فالظن عجز لمن استيقن**» افصعدت إلى السماء قال لا قال أفتدري ما فيها قال لا قال عجباً لك لم تبلغ المشرق والمغرب ولم تنزل الارض ولم تصعد السماء ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهن وانت جاحد بما فيهن وهل يجحد العاقل مالا يعرف قال الزنديق ما كلمني بهذا احد غير فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت من ذلك في شك فلعله هو ولعله ليس هو؟

فقال الزنديق : ولعل ذلك ، فقال الإمام عليه السلام: أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل يا أخا أهل مصر!

تفهم عني فإنا لا نشك في الله أبدا أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان و يرجعان ، قد اضطرا ليس لهما مكان، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم لا يصير الليل نهارا والنهار ليلا؟

اضطرا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر، فقال الزنديق: صدقت، فقال: الإمام عليه السلام يا أخا أهل مصر إن الذي يذهبون إليه ويظنون أنه الدهر إن كان الدهر يذهب بهم لم لم يردهم وإن كان يردهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون يا أخا أهل مصر لم السماء مرفوعة ولم الأرض موضوعة لم لا تسقط السماء على الأرض، لم لا تنحدر الأرض فوق طباقها ولا يتماسكان ولا يتماسك من عليها؟ قال الزنديق: أمسكهما الله ربهما وسيد هما ،فقال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

اقول: قد استن الله سبحانه في كتابه سنة لنبيه في هداية العباد إلى شئون المبدأ والمعاد تلك من طرق ثلاث طريقة الحكمة اي البرهان وطريقة الموعظة وهي الخطابة والاقناع وطريقة الجدل وهي اسكات الخصم والجامه اذ قال ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾.[1]

وقد سلك الإمام الصادقعليه السلام في احتجاجه مع الزنديق سنة جده النبيصلى الله عليه وآله فحاوره اولاً على طريقة الجدل حيث استسماه وقال عبد لأي ملك من ملوك الأرض او السماء ام عبد أي اله اذا كنت تنكره وكيف انكرت المشاهد الربوبية في انحاء العالم الواسعة وأنت لم تستخير عما تحت الأرض أو ما فوق السماء ثم سلك مع الزنديق مسلك الخطابة اذ قال ان الظن عجز وهل يجحد العاقل مالا يعرف وليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل يا أخا آهل مصر فأنا لا نشرك في الله ابدا.. الخ وكلها من طرق الاقناع واستلانة قلب الخصم تمهيدا لعرض البرهان عليه وبعد ذلك سلك معه سبيل الحكمة والبرهان اذ قال اما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يشتبهان ويرجعان قد اضطر – إلى قوله- «والذي اضطرهما احكم منهما واكبر» وهذا هو برهان الجاذبية التي استدل بها مكتشفها (نيوتن) الانجليزي على وجود الله حيث امتاز النيران وكل كوكب في السماء بمدار خاص وفلك مخصوص في الفضاء لا يتعداه حسب اصول الجاذبية العامة بالرغم من توال الحركات واختلافها فمن ذا الذي اضطر الاجرام بأقدارها وامسكها في مدارها والجمها بالجاذبية من روعنّها وسخرها كما ترى طوعاً او كرها كما سنفصله ثم انتقل الإمام الصادق بالرجل

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

من برهان الجاذبية إلى برهان الاختلاف الاثري اذ قال ان الذي تذهبون إليه وتظنون انه الدهر ان كان الدهر يذهب بهم لم لا يردهم وان كان يردهم لا يذهب بهم الخ يعني ان الدهرية المعتقدة بان الدهر هو الذي يستولدهم ثم ما يهلكهم الا الدهر يجب ان يعلمو بان المؤثر الفاقد للشعور والقصد والذي يسمونه دهراً ان كان من طبعه واقتضائه الذاتي ان يستولد الخلائق فلما ذا يهلكها او كان من طبعه الاهلاك فلما ذا يستولد والمطبوع لا يصدر منه الحالات المتخالفة كما فصلناه في برهان الطبيعة وهذه الطرق التي سلكها الإمام في ارشاد الزنديق حتى اسلم مأخوذة من كتاب الله عزّ شأنه ومن خطب جده علي عليه السلام واعتمد عليها عديد من الحكماء لا يحصون.

الله وبرهان وجيه:

قال الدكتور (مونتيه) الفرنسي فيلسوف أوربا المشهور كما في مجلة الكسموس سنة ١٨٩٣م ان افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل ان الكون خلق اتفاقاً وبلا فاعل مريد مختار وان الاتفاقات المتكررة توصلت إلى تكوين رجل فهل يعقل ان الاتفاقات او المصادفات تكون كائناً آخر مماثلاً له تماماً في الشكل الظاهري ومباينا له في التركيب الداخلي وهو المرئة بقصد عمارة الأرض بالناس وادامة النسل فيها ثم قال اليس يدل هذا وحده على ان في الوجود خالقاً مريداً مختاراً ابدع الكائنات ونوع بينها وغرز في كل نوع غرائز ومتعه بمواهب يقوم بها امره ويرتقي عليها نوعه.

اقول: سبق القرآن الحكيم هذا الفيلسوف العظيم في اقامة هذا البرهان نفسه شاهداً على الربوبة اكثر من الف وقرون في آية﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً..**﴾.(١)

---

(١) سورة الروم: ٢١.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.[1]

فأوضح في الآية الاولى ما ابانه الدكتور المذكور واوضح الاخرى ان النظام الصالح الذي سنه الله لنوع الانسان ليس مختصاً به وحده وانما هو نظام عام لعامة اصناف الحيوان وفي كل الطبقات من مملكة النبات ومن غير النبات كالكهربائية القائمة بالسالب والموجب فمن انعم النظر في ممالك الوجود ومظاهر العالم المشهود راى سنة الزواج قائمة محكمة الصنع وافية بالغرض طبق الحاجة وهذا مالا يسع العقل تعليله بالصدفة او الخلق الخالي عن القصد فلو فرضنا الرجل مخلوقاً على شكله الحاضر او على شكل من اشكاله المنقرضة فمن ذا الذي خلق المرئة بجانبه على الفور زوجة له تشاطره في القيام بالتناسل وبغيره في نفس الوقت الذي خلق فيه الرجل.

أما اذا افترضنا خلق المرئة بعده او قبله ولو بقرن واحد لانعدم الرجل وانتقضى الغرض وانقرض النوع من اصله قبل ظهور نسله وهذا البرهان الذي يذكر للرجل والمرأة من نوع الانسان يذكر بعينه في كل انثى وفحلها من صنف وصنف ونوع ونوع وطبقة وطبقة من صنوف الحيوان وانواع النبات وطبقات الاجسام المتزاوجة بالتركيب فما العالم المحسوس الا ازواج متعاشقة ومتعانقة لا يجاد الامثال واستدامة الانواع فهل يدير هذا النظام الحكيم طبيعة عمياء او مادة فاقدة الشعور او قوة لا تملك من نفسها حكمة وثباتاً.

---

(١) سورة يس: ٣٦.

الله وبرهان الوظيفة:

مادامت الطرق نحو ضالتنا كثيرة وكثيرة الشعب يجد ران اسلك بكم نحو المطلوب من اقصر الخطوط واقصرها يكون اقصدها واعدلها في الوقت نفسه وتلك طريقة تكوين المخلوق على كيفية وافية بالغرض فاذا نجحنا في الحصول على طريقة كهذه اثبتنا الخالق واثبتنا معه العلم والقدرة والقصد والحكمة وسائر الكمالات بعملية واحدة فتستحق طريقتنا هذه ان تسمى الطريقة الجامعة.

فنقول في الزهرة انها مخلوقة اذ كانت بعد ان لم تكن ولا بد لها من خالق فوق نفسها متصف بالعلم والحكمة لأنه خلقها كنتيجة للشجرة والحكمة في النتيجة ان تحتوي على مادة تستبقي نوع الاصل كي يستثمر الحياة لنوعها اذا تعذر البقاء لشخصها وعندما نفتش الزهرة المحكومة بهذا الحكم الفطري نجدها كذلك واجدة لمادة اللقاح واعضاء التناسل الحافظ لنوعها عند وداع الام ففي الزهرة الواحدة مواد اللقاح بين الفحل والانثى بصورة منظمة حسب ما تقتضيه الحكمة والعقل السليم حسب فطرته يحكم بان خلقاً مدبراً بهذا التدبير الوافي بالغرض لا يمكن صدوره من طبيعة لا علم لها بماضي الشي ومستقبله الا وفوقها مدبر يسيرها على الصراط المستقيم كيفما يشاء وتشاء حكمته وهذه الطريقة المحكمة صالحة للتطبيق بحذافيرها على صنوف العالم النباتي باسره وصنوف العالم الحيواني باسره اذا فهو نظام عام وسنة واحدة لا تخلف ولا تتخلف:

مثال آخر: ندقق اعضاء الانسان فنراها طبقاً لماد عيناه ومن بينها العين فأنها خلقت فيه لترشده الطريق وتريه منافعه ليقدم عليها ومضارة ليبتعد عنها فالحكمة تقتضي لمثل هذا الدليل ان يكون:

اولاً- في الجهة الامامية والجهة التي تتحرك إليها القدمان.

ثانياً- ان يكون في المحل الارفع.

ثالثاً- ان تكون محدبة الشكل لتحيط على المناظر الضخمة بعد تصغير حجمها حال الانطباع.

رابعاً- ان يكون مدخل النور فيه ضيقا حال قوة الاشعة وواسعاً حال ضعفها.

خامساً- ان تكون الطبقات مختلفة السمك والتحدب ومختلفة العمق والتقعر كالزجاجات العدسية المنظمة في النظارات المقربة (تلسكوب) والمكبرة (مكر سكوب) وقد خلقت العين وفقاً لهذه الشروط الخمس بل وفقاً لخمسين شرط آخر يشترطها عين الحكمة مما لا مجال لذكرها.

وعندما نفحص العين نجدها واجدة لهذه الشروط التي يقتضيها العلم والحكمة ويتطلبها استيفاء الغرض من هذا العضو.

اجل لو كانت العين جلدة رقت باقتضاء الظروف إلى درجة قبلت نفوذ النور فصارت تبصر بالصدفة فما الذي حتم عليها ان تكون في الجميع محدبة الحجم وذات طبقات منظمة كأنها نظمت بانامل فيزيائي بارع اتقن هذه النظارة دون ان يحيد عن قواعد الفن قيد الشعرة.

وقل مثل ذلك بعد الفحص عن جهاز السمع وعن حاسة الشم التي ارتكزت بجوار الفم كحارس عند مدخل الاطعمة يخبر الطاعم عن المطاعم ازكاها وارداها وهكذا بقية الا عظاء القائمة بالواجب والمخلوقة على شكل مناسب لأداء الواجب الامر الذي دلنا على ان العضو مخلوق للوظيفة لا الوظيفة مخلوقة للعضو ولا يسعك ان تحسب هذه البدايع من صنايع الطبيعة او اي فاعل خلو من القصد والعلم.

الله والبرهان الالكتروني:

ان ادنتجن العالم الانجليزي استاذ علم الفلك في جامعة (كابمبردج) بانجلترة يعد ثقة في الفلكيات والرياضيات والطبيعيات جميعاً ويستخلص رايه من مواد علمية ناضجة من كل هذه العلوم قواعدها فلا تراه كالذي يستحلب عقيدته من اقوال ابويه او مدرسته او بيئته وقد لقب لأيمانه المأخوذ من دليله العلمي رائد الله قال كما في المقتطف سنة ١٩٣٢م.

ومعلوم ايضاً ا ناي جوهر فرد من الجواهر الفردة الاثنين والتسعين يستطيع ان يشع نورا أو اي اشعاع اثيري آخر بشرط ان يكون الجوهر الفرد في حال خصوصية من حيث الحركة والبيئة الطبيعية التي تتفاعل معه وعملية الاشعاع هذه تدمغ الجوهر الفرد بعلامة خاصة بحيث اذا جرى اشعاع استطعنا ان نتأكد من حدوث هذه العلامة الفارقة في تركيب الجوهر الفرد واذا شاهدنا او استنتجنا حدوث هذه العلامة استطعنا ان نثق ان ثمة اشعاعاً معيناً وقع اي ان الصلة بين الاشعاع والعلامة الفارقة صلة تبادلية حتمية وهذه العلامة الفارقة هي ان يسقط الالكترون من احد افلاكه حول النواة إلى فلك اصغر فيقترب بذلك منها ويستطيع الالكترون كذلك ان يسقط إلى فلك اقرب فأقرب من النواة حتى يلصق بها أخيراً.. الخ.

وخلاصة: هذا الرأي ان الجوهر الفرد أو العالم الذري الذي هو نهاية التقسيم في المادة تدور دقائقه الايجابية حول مركزه السلبي على افلاك معينة كالتي في نظامنا الشمسي ويجد الباحث احياناً بعض الذرات تدمغ فتنزل عن فلكها بصورة غير طبيعية او ترتفع إلى فلك اوسع. ومتأكد هذا الاستاذان الفواعل الطبيعية موات هنا لا تصرّف لها وفيها باي وجه.

فاذا كانت هذه الحركات غير طبيعية ولا يعرف لها سبب طبيعي ثبت وجود متصرف فوق الطبيعة وثبت وجود فاعل غير محسوس لا تنوب عنه الجاذبية ولا المظاهر الطبيعية الاخرى ولنا استنتاج منه بأسلوب آخر سوف يذكر.

دلالة الصنايع على حكمة الصانع:

قال عبد الله الاباحي فيلسوف (المذهب الروحاني) ما نصه:

ليس لدينا براهين حسية نؤيد بها وجود الله المنزه عن الوقوع تحت الحواس انما نشعر في نفوسنا بقوة سرية وميل غريزي يجتذبنا إليه تعالى ويحقق لنا وجوده بمعزل عن كل برهان وقياس

لابد لكل معلول من علة وتظهر عظمة العلة بأهمية المعلول ولئن كانت هي أي العلة خفية غير منظورة مثلاً اذا رأيت طائراً محلّقاً في الجو اصابته رمية بندقية وهو يشق عباب الهواء فتحكم بمهارة الصياد ولو لم تره فليس من الضرورة اذاً رؤية الشيء للحكم بوجوده فان من المعول يتحقق وجود العلة.

ومن المبادي التي لا تنقض أن لكل معلول عقلي علة عاقلة فأن رأيت مثلا آلة بديعة الصنع محكمة الوضع هل يخطر على فكرك انها تركبت من نفسها.؟

وان رأيت طرفة صناعية في منتهى الاتقان الا تحكم بصدورها عن فكر ثاقب تصورها وابرزها إلى حيز الفعل وهلا تهزأ بمن يقول أنها صنع رجل ابله او تركبت من حيوان أو على سبيل الصدفة؟ يستدل على وجود الانساني من اعماله وقد تحقق العلماء وجود الانسان السابق للطوفان العام من وجود مصنوعات غليظة اكتشفوها في الطبقات المتعلقة بتلك الازمنة كحطمة من اناء خزفي أو حجارة منحوتة أو سلاح من حجر وما شاكلها ويستدل من خشونة أو أتقان العمل على درجة ذكاء صانعه.

فأن لقيت مثلا في البلاد يسكنها المتوحشون تمثالاً بديع الصنع حكمت حالاً بأن ليس هذا عمل متوحش بل صاغه معلم ماهر يفوق السكان حذقاً وذكاء.

واذا تقرر ذلك فالق النظر إلى ما حولك وتأمل في اعمال الطبيعة وما بها من المحاسن والنظام والتدبير الكامل. فهل للعقول البشرية كفاءة على ابداع شيء منها.

فهي اذاً ولا شك صنع عاقل يفوق العقل البشري فوقاً لا يقدر في الذكاء والحكمة والدراية.

يعترض البعض بقولهم: (ان اعمال الطبيعة صادرة عن قوى مادية تفعل آلياً تحت حكم ناموسي التجاذب والتدافع فتجتمع ذرات الجسم وتنحل وتنشأ النباتات وتنمو وتتوالد ويأتي نموها وأزهارها وأثمارها وتلوينها عن فعل الحرارة والرطوبة والنور والكهربائية وهكذا قل عن الاجسام الحيوانية وأما الاجرام الفلكية فتكون بفضل تجمع دقائق اثير وتنتقل في سيرها بقوة الجاذبية فنظام آلي كهذا لا يدل على وجود علة عاقلة حرة أن الإنسان يحرك يده متى وكيفما شاء وأما من يحركها في ناحية واحدة من الولادة حتى الموت فيكون اله لا عقل ولا ارادة به.

هكذا القوى الطبيعية فأنها اله محضه لا تتغير تفعل على نسق واحد منذ الأزل).

لسنا ننكر أن قوى الطبيعة ازلية لان الفعل الحلقة أزلي لا بدأ له ولا انهاء، وانما منذ الازل اقتضى لهذه المعلولات وجود على تنظمها. وان القوى الطبيعية مادية آلية محضة وليست بذاتها عاقلة فتحتم اذاً وجود علة عاقلة حركتها ونظمتها على نسق مناسب لقوام الكائنات فنظم هذه الكائنات معلول عقلي يدل على علة عاقلة كآلة الساعة انها تتحرك بنظام محكم وبهاؤها قائم بإتقان حركتها أنما القوة المحركة فيها مادية محضة وليست بعاقلة ومن ابتدع هذه القوة ونظمها واتقن فعلها فهو كائن عاقل استحال

وجود الساعة بدونه. فوجود الساعة يدل على وجود الساعاتي وإتقان حركتها تنبيء عن مهارة صانعها وقط لا يخطر على فكر عاقل عند نظره إلى نظام الساعة واشارتها إلى الوقت ان يقول عنها الا انها صنع عاقل الخ..

اقول لو لم يشبع المعترض رداً وتفنيداً. ولك ان تراجع ما ذكرناه في برهان الطبيعة وفي شرح طريقة الصادقعليه السلام وما بعده وما سنذكره في شرح ابياتنا آلاتيه ففيها الكافية.

(آيات الخالق في خلقه)

مـن ابـدع الكـون كعقـد نظـيم		واودع الـذر تضـام السـديم

طبيعـة عميـاء جهـلا تهـيم		انيّ لهـذا النظـام القـويم

***

فـاقرء كتـاب الكـون في نقطـة		مـن خـط ذي عـين ولام ومـيم

يكـون المحـيط في قطـرة		رشـح نـداها بحـر فضـل عمـيم

***

مظـاهر القـدرة في بـذرة		دوائـر الاكـوان فيهـا تقـيم

وسـنة اللقـاح في زهـرة		تهـدي إلى صراطـه المسـتقيم

***

منـاظر الجمـال في بقّـة		حقـيرة مـرآة رب عظـيم

وسر الاسـتكمال في بيضـة		يـنمّ عـن كـمال حـي رحـيم

***

وخـذ فنـون العلـم مـن نملـة		علمهـا اسـتاذ فـن قـديم

ودودة أعـدّ في صـخرة		معاشـها رب ودود كـريم

***

ظـــواهر الحكمـــة مـــن نحلـــة　　　تحكـــي تعـــاليم الـــه حكـــيم

وهيكـــل الانســـان ذو فكـــرة　　　منـــه منهـــا حـــار لـــبّ فهـــيم

***

ســـيارة الحيـــاة في نقطـــة　　　تطـــوي سراهـــا بـــدليل علـــيم

مـــن نظـــم الافـــلاك في حكمـــة　　　(ذلـــك تقـــدير العزيـــز الحكـــيم)

شروح أبياتنا المذكورة:

قد اجمل الذكر الحكيم في آية: ﴿**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ..**﴾[1].

ذكرى آياته الدالة على وجوده وعلمه وحسن تدبيره سواء في الانفس او في خارج الانفس من مشاهد الطبيعة وملكوت السماء والارض وقد تناولت ابياتنا المتقدمة ذكرى الشطر البارز منهن مستهلة من الذرة التي هي احقر الآيات واصغر هن بكل معنى الكلمة متدرجة إلى الاكبر فالأكبر حتى الافلاك والاجرام السماوية التي هي اعظم الآيات بكل معاني العظمة.

(مـــن ابـــدع الكـــون كعقـــد نظـــيم　　　واودع الـــذر نظـــام الســـديم)

استهل بذكر الكون دليلاً على الخالق لأنه مجموعة الآيات وكل جزء منه آية الله فالمجموعة أولى بأن يكون آية له وهو مخلوق منه الابداع وابدع مخلوقاته انتظاما بالأجماع وان حسن انتظام العالم محسوس لاريب يعتريه ولإخلاف فيه لأمن الاوائل

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

ولا من واخر. لذلك يستفهم استفهام العالم الخبير عمن ابدع الكون كعقد منتظم متناسب الاجزاء مرتبط بعضه ببعض من اصغر ذراريه إلى اكبر ذراريه حتى سماه الاقدمون انساناً كبيراً وكتاباً مبيناً وسماه المتأخرون كرة مكبرة وقطاراً متسلسلاً، قال الدكتور صروف صاحب المقتطف الكون عظيم جداً ولا بد له من مكون اعظم منه وان تكون قدرته شاملة وعينه ترقب مخلوقاته فنحن كلنا عرات لديه ظواهرنا وبواطننا.. الخ.

شهادة الذرة والنقطة والقطرة:

بعد ان استهل في استدلاله بالكون كمجمل لما بعده من عقد مفصل ابتدأ بذكر اصغر اجزاء الكون واحقرها اعني الذرة لان الكمال المدهش يكون في الصغير ادهش واقوى دلالة منه في الكبير. فأشار إلى أن النظام الموجود في عالم السديم وهو اكبر شيء في عالم الاجسام هو بعينه ثابت للذر الذي هو اصغر شيء والذر كتابة عما يسمى بالجوهر الفرد او الدقائق الالكترونية اذ فيها جزء يتمركز كالشمس لحركات اجزاء اخرى تطوف حولها طواف السيارات في افلاك خاصة كما قلت:

فتش بطون اصغر الذرات   تجد شموساً بين سيارات

فاذا كانت الذرة وهي جارة الاعدام من دقة الاقتسام فأنيّ لها ما تؤثر به على جارتها في مداراتها وهي في منتهى ضعف الطبيعة وفقر الذات والمحمول اضعف من الحامل فلا بد من ان يسند السلطان إلى ما فوق الذات وهو الله وسبقت الاشارة إلى هذا في برهان (ادنتجن) بأسلوب آخر:

(طبيعة عمياء جهلا تهيم   اني لها هذا النظام القويم)

الطبيعة خاصة لذات المؤثرة بلا قصد أو شعور فتوصف بالعما والصم اذ ليست مدركة للجزئيات كالمبصرين والسامعين كما توصف بالجهل والهيام اذ ليست عالمة بالكلية ولا تسلك السبل عن قصد ورويّة فأني لها النظام البديع المستقيم سواء في المجموعة الكونية أو في بعض أجزائها كالذر وما سيفصل لولا أن يدير شؤنها ذات كاملة العلم ومحكمة النظام والتدبير.

فأقرأ كتاب الكون في نقطة   من خط ذي العين ولام وميم)

كما شهدت الذرة ونظامها البديع على مبدعها البارع كذلك النقطة من كتاب الكون وكل حرف منه او كلمة:

ففي كل شيء له آية   تدل على انه واحد

وبمناسبة استعارة الكتاب استعارا لمناسباتها من النقطة والخط والحرف اعني العين واللام والميم ومجموعها «علم» والمراد من ذي العلم خالق الكون العليم الذي:

(يكون المحيط في قطرة   رشح نداها بحر فضل عميم)

فلا يعجزه عظمة المحيط ولا صغر القطرة كالنفس الانسانية التي هي اعظم من كل محيط وتودع في قطرة ماء من نطفة الابوين ورشحة من ندى هذه القطرة يشكل بحر فضل عميم الخير في المجتمع البشري وبمناسبة استعارة المحيط حسنت استعارة القطرة والبحر والرشح والندى ان تعلق النفس الانسانية بقطر المطر والندى والنطف التي بين الصلب والترائب شاهد تدبير الخبير كما وفي النقطة الهندسية أو الطبيعية والذرة الكهربائية شهادة ناطقة بان المهندس لصورتها المصغرة والراسم لصورة العوالم المكبرة هو واحد وعلى كل شيء قدير.

دلالة التوت على الملكوت:

مظـــــاهر القـــــدرة في بـــــذرة   دوائـــــر الاكـــــوان فيهـــا تقـــيم

لقدرة الخالق الحكيم وتصرفه الصالح مظاهر جليلة وجلية في بذرة صغيرة بذرة التوت التي حوت من عجائب الآثار وغرائب الحكمة ومختلف الدوائر ما يدهش الناظر ويتعب المتفكر اذ هي دون الخردلة وتولد شجرة كقبة سمكها اربعون ذراعاً يستظل تحتها (١٠٠) رجل دون ان تكبر البذرة. وتحفظ قوى الحيات والإنبات لنفسها ادهاراً واجيالاً اذ جربوا حبة القمح المستخرج من أهرامات مصر. فزرعت فنجحت فأورقت فسنبلت فحييت بين زراعها ومالكها أكثر من (٥٠٠٠) سنة.

فليت شعري: ان كانت قوى الحياة محدقة بالبذرة من خارج القشرة فلماذا لم تفقد شخصيتها بمزاحمة الفواعل. وان كانت مصونة في سرادقات داخل خلايا البذرة وكان جوهر «المادي متعدداً فلم لا ينبت بعدما تكسر. الحبة نصفين وان كان ذلك الجوهر واحد لا يتعدد فهنالك الحيرة من انه بعد انبات الحبة هل يبقى محافظاً على مركزه داخل حجيرات الحبة أو يخرج سيارا في السوق والاوراق ان كان الاول فلماذا نجد الاغصان تقطع فتغرس فتغدوا اشجاراً مستقلة وان كان الثاني فلماذا تموت اعالي الشجر ثم تفرع جرثومتها الاولى.

ذلك مرشد إلى أن المبدأ لحياتها شيء فوق المادة وغير الطبيعة اي أن المحمول في البذرة (الكروموسوم) من عالم الغيب والحامل له (البروتوبلاست) من عالم الشهادة اضف إليه أن حرصها على بقاء نوعها وتناسل أمثالها يولد منها في كل عام آلاف حبة على شاكلة الام وفي عشرات السنين آلاف الملايين مضافاً إلى النظم المتبوعة في الدوائر العظمى من هذه الشجرة ففيها دائرة الري من اسفلها إلى اعلاها بطول اربعين ذراعاً

فوق الارض وبأكثر منه تحتها بدافعات دونها دوافع المضخات امهات الدوليب ثم دائرة التموين والتلوين فتجمع من مختلف الاصباغ وأنواع الطعوم واصناف الاغذية والمواد للثمر شكل وللورق شكل وللسوق شكل وللعروق شكل ثم دائرة الصحة وبعدها دائرة القسمة فتوزع هذه الاجزاء على الاعضاء وتعطي كل صنف حقه ولا تحرم مستحقه ثم دائرة الهندسة التي تصور كل جزء كأخيه وتحافظ على الاشكال والاقدار في الاوراق والثمار. فمن الذي اودع هذه الدوائر في حبة كخردله وابدع في نظامها وحسن انتظامها وغاية الجميع واحدة؟

اجل يرد الطبيعي على الروحي قائلاً بأن المواد المختلفة في الشجرة بخاصيتها المختلفة أنما هي على كثرتها مبثوثة في الهواء والماء والتراب فاذا استعدت بذرة ما للنماء انجذبت إليها هذه الاجزاء المبثوثة حولها فتركبت وتكونت منها بالتدريج هذه الشجرة العظمى فالبذرة من هذه الجهة بمثابة المغناطيس يجذب إلى نفسه ما حوله من حديد حتى تجتمع عليه كتلة حديدية:

فيجيبه الروحي: ماهي تلك القوة الكبيرة الشبيهة بالمغناطيس المودعة في هذه البذرة ومن ذا الذي اودعها فيها محافظة على النوع من ان ينقرض وكيف تمكنت هذه القوة الوحيدة من جلب اجزاء متباينة حينما ان المغناطيس يجذب الحديد فقط وهذه البذرة تجذب الماء بعنصريه وتجذب الهواء بعناصره وتجذب اجزاء لأصولها واجزاء لا وراقها واجزاء لا زهارها واجزاء لأثمارها واجزاء لبذور في الثمرة. وكل واحد من هذه القطع الخمس تغاير سائر القطع في موادها فهل تلك القوة الوحيدة تجذب الخمسة جميعاً والمغناطيس لا يجذب الا الحديد وحده. او في بذرة التوت قوى خمسة وكل منها جذاب لما ذكر؟ اذن فهذه الادارة الخماسية الاعضاء في اي زاوية من زوايا هذه البذرة الصغيرة

ولابد لكل عضو كرسي خاص فأين هذه المواد ومن نظم كراسيها من دور اختلاف وضعة في البذور كلها؟ ومن الف بين هؤلاء الاعضاء وسن لهذه الجمعية قوانينها الاساسية؟ وهل لهذه الجمعية رئيس حاكم على البقية اذ كل كثرة لابد لتنظيمها من موحد أو رابط ضابط ثم ان الاعضاء الخمسة مراجع الدوائر الخمسة هل تمركزت في خلايا البذرة أو انتشرت في اغصان الشجرة؟ ان كان مجلسهم في حجرة البذرة فلماذا نرى الشجرة حال تركيب اغصانها بشجرة اخرى تظهر في حلة اخرى فيمتاز غصنها المركب بأوراق متضاعفة في العدد والشكل وتتبدل الوان ثمارها بلون ممتاز من لون ابويها فليت شعري لو كانت ادارة التشريع والتوزيع متمركزة في البذرة فمن الذي يفعل في الغصن المركب هذه الافاعل المختلفة؟ وهل يوجد في الغصن حال تركيبه شعبة مخصوصة أو ادارة لا مركزية مستقلة عن مركز البذرة كلا ثم كلا وانما هي اسرار يرجع البصر عن كشفها خاسئاً وهو حسير.

وسنة اللقاح في زهرة تهدي إلى صراطه المستقيم

لحكمة الله اسرار في مملكة النبات من نواح شتى نوهنا بذكر جملة منها تحت عنوان التوت والملكوت وبعنوان برهان الزوجية وعند التمثيل البرهان الوظيفة فاستبقاء نوع النبات محتاج إلى التناسل وتوليد الامثال. وهذه الوظيفة تقوم بها الزهرة كسنة عامة في كل عام وعند ؟؟انسب ازمنة اللقاح وعندما تتحلى بأفخر حلل الزفاف قال سبحانه: **﴿..وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ..﴾**[1] و **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾**[2].

(١) سورة ق: ٧.
(٢) سورة الحجر: ٢٢.

البعوضة مثال لحكمة الإله:

منـــــاظر الجـــــمال في بقّـــــة حقـــــيرة مـــــرآة رب عظـــــيم

البقة اسم للبعوض كما قال الجواهري وغيره والبق صنوف احقرها في النظر لو وضعت تحت نظارة المكبر (الميكرسكوب) لظهرت عليها وعلى جناحيها نقوش بديعة الاشكال واشكال جميلة الالوان والوان تسر الناظرين بما يفوق جمالها جمال ابدع ديباجة مزركشة وابدع سجادة منقشه فلو وجدت هذه النقوش في جسر كبير لم يسع العقل الا الاعتراف بأنها كائنة عن عناية ودراية فكيف بها وهي مرسومة على سطح هو نهاية في الصغر وعند نهاية فقر الطبيعة وضعف المادة.

غير ما هنالك من بديع معان اثبته للبق علماء الحياة ومشاكلته (ولا اصغر منه) للفيل (ولا اكبر منه) واهتدائه إلى منابع رزقه من الدم المحتقن تحت الجلد الرقيق.

في البيض سر كمال رباني:

وسر الاســـــتكمال في بيضـــــة يـــنمّ عـــن كـــمال حـــي رحـــيم

البيضة معروفة سواء في الطيور والديدان وفي الحيات والحيتان أو غيرها والبيضة تنفصل عن أمها شهوراً ودهوراً بلا حضانة وهي كجسم جامد لا فرخ فيه ولا شبح فرخ حتى لو دققوا زلالها الابيض الفضي- مع الاصفر الذهبي تحت اعظم النظارات ولمجرد دخولها في دور الحضانة تحت امها أو غير أمها ولو في صوفة تحويها اخرج تلك من معملها فرخا حسن الشكل كامل الاعضاء حافظاً لدروس تلقها أبواه.

وتختلف البيضة عن النطفة من جهات بعد الاشتراك معها في اخرى فالبيضة خلو من الحيوان حال انفصالها من الام والنطفة مليء من الحيوانات المنوية حين انفصالها من الاب كما ان البيضة غنية عن الرحم والنطفة محتاجة إليها.

فالبيضة التي خلت من الفرخ ومن شبح الفرخ من اين اتت بالفرخ ولم تنفذ إليها من خارج القشرة مادة؟ ورب بيض كبيض النعام صلب قشرها فوق صلابة الصخر وممن تعلم الفرخ في حجرته دروس الابوين حتى صار يخرج من هذه الحجرة الصخرية بلباقة ودراية وصار يحاكي ابويه في الاكل والشرب وفي كل اعمال ابويه حتى في التفريخ وواجباته.

فتراه ينهض من فوره إلى الشط ان كان فرخ البط وإلى غصن الشجر ان كان الفرخ الحمام وإلى مجتمع الرمل ان كان فرخ النعام نعم هداها ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾.[1]

فلاستكماله العلمي واستكماله الجسدي واستكماله الروحي داخل البيضة اسرار ينم عن كمال قدرة الله العليم وكمال تدبيره الحكيم وكمال لطفه الربوبي الرحيم بهذا الفرخ من نوعه فوق ما للطبيعة من شؤون وقد ذكرنا نواميس الاستكمال واسراره في المنظومة الكمالية.

هدى النمل من هدى ربها:

وخذ فنون العلم من نملة   علمها استاذ فن قديم

دلت آيات في الذكر الحكيم على تفوق النمل في دروس الحكمتين العلمية والعملية كما في آية ﴿..**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**..﴾.[2]

---

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) سورة النمل: ١٨.

وسبق عن الإمام علي عليه السلام خطبته في النمل والنحل.

وسجل علماء الشرق والغرب المتخصصون في درس حياتهما علوماً واخلاقاً بحقلهما في صف الامم المتمدنة وتمدن كل بحسبه وتعلم كل بنسبته.

قال اللورد (افري) من مشاهير علماء الانجليز ومؤلف كتاب النملة في كتابه (محاسن الطبيعة).

تتألف قرية النمل من صغار قصر وذكور لا تأتي عملاً وعمال لا اجنحة لها وامهات هن الملكات يكون لهن اجنحة يفقدنها بعد طيرة الزواج اذ لا يبقى من حاجة إليها بعد العودة إلى قصور الاوكار أما العمال فنادراً ما تبيض وشأنها الاهتمام بشؤون الجماعة من جمع قوت وغيره وبعضها تلزم القرية وتحتفر الغرف والدهاليز من واجباتها ايضاً الاعتناء بالمواليد وتنسيقها حسب السن وقد كنت ارى بيوت النمل اشبه بالمدارس يرتب الاولاد فيها فرقاً وصفوفاً:

اما الملكات في قرية النمل أو قفير النحل فهن على الحقيقة الامهات وليس يعدٍ من العمال محبة البنين واخلاص الرعية واتفق لي يوماً: اذ كنت انقل بعض النمال من وكر إلى آخر اذ قتلت الملكة في يدي فتأسفت وحزنت عليها ثم القيت جثتها الباردة في وسط العمال فلم يخرجانها كما لو كانت جثة احداهن بل عرفن لها القدر والشأن العظيمين وتألبن حولها واحتملنها إلى وكر جديد حيث ظللن يقربها مدة اسابيع متوالية كأنهن يحسبنها حية ترجى بعد أو كأنهن عرفن أنها ميتة فأردن البكاء عليها والنحيب بمماتها ولا تعجب أن تعلم أنه عدد الجماعة قد يكون نحو ٥٠٠،٠٠٠ أو يزيد وهل تعلم يستحيل أن يختصم نملتان من جماعة واحدة وكم في ذلك من الموعظة لأبناء الوطن الواحد من بني الانسان وهل تعلم ان النمل قرية ما تنكر نمال كل قرية اخرى

ولو كانت من فصيلتها- وهذه غاية التعصب للوطن والغيرة على افراده لقد شاهدته بعيني فتحققت ان الوطنية وحفظ الوداد عند النمل طبيعة غريزية لأتمحى.

والاغرب قسمت قرية إلى قسمين منفصلين وعدت فجمعتها بعد سنة وتسعة اشهر فرأيت النمل على غاية ما يكون من الوئام والوفاق مع انني كنت ادخل النملة الواحدة في غير قريتها فلا تلبث ان تطرد طرد الغريب المتطفل وقد زعم ان لنمال القرية الواحدة علامة وكلمات سرية متفق عليها فيما بينهن يتميزن بها عن سكان سائر القرى وحاولت التحقق من ذلك بإفقاد النملة صوابها وظننت النمل اقل عقلا من ان يجتنب المسكر وما لبثت ان علمت ان هذه الحشرة الصغيرة لا تسعى في جنونها ولا تأتي مشروباً روحياً من تلقاه ذاتها فأخذت ٢٥ نملة من قرية ومثلها من قرية اخرى واسكرت الجميع بالوسكي بعدما وسمت كل نملة بعلامة فلم يكد النمال التي كن على المائدة يبصرن بأخواتهن حتى اقبلن عليهن مدهوشات حائرات ماذا يصنعن لأفاقتهن من السكرة ولم يكن الا القليل حتى رأيت الخمسين قد تفرقن دون الغريبات ووجدت الباقي منقولات إلى القرية لينمن ويصحون من خمارهن فعندئذ اتضح لي ان نمال القرية الواحدة يتعارفن ويتميزن فيما بينهن حتى عند عدم استطاعة نداء ابداء العلامة أو كلمة السر.

والنمل شديد العطف بعضاً على بعض وأنه ذو انسانية بقدر ما عنده من الغيرة والمروء اللتين يدعيهما الانسان فقط لنفسه.

ورأيت احدى نمالي يوماً مكسورة الرجل واخواتها يطعمانها ويعتنين بها.

وظللت اشد منهن هذا المعروف معها مدة ثلاثة اشهر بطولها وشاهدت نملة عاجزة سقيمة الاعضاء لا تستطيع مبارحة القرية فجعلت اراقبها لا اعلم مصير امرها وبعد سبعة ايام رأيتها خارجة في طلب القوت واذا بنملة غريبة هاجمتها في الطريق واشتد القتال بينهما فانتصرت للظعينة واردت تخليصها من عدوتها فنالها من سوء تناولي لها شر مما اصابها من تلك الغادرة مع انني لم ارد بها الا خيراً فتركتها لترتاح وتنتعش بعض الشيء اذ مرت بها جارة لها غيورة فعجبت وجزعت لما راتها عليه واحتملتها إلى القرية بكل لطف ورفق...

فلا بد اذن من طريقة يتفاهم بها افراد القرية الواحدة والقفير الواحد وهو معلوم انه اذا اكتشفت النملة او النحلة مكاناً فيه قوت كثير ذهبت إلى اخوانها ورجعت بهن إلى ذلك المكان فهل تعد اجابتهن لمثل هذه الدعوة من قبيل الصدفة والاتفاق؟ أم هي نتيجة فهمهن الغرض المقصود وكيف يتم لهن ذلك؟

طالما اردت امتحان عقل النمل والوقوف على طريقة التفاهم بين افراده. انني وجدت ذات يوم شديد البرد النملة خارجة وحدها من القرية فأخذت ذبابة وشككتها إلى فلينة والقيتها في طريق النملة فما عثرت بها حتى اخذت تعالجها بفمها وارجلها وبقيت على ذلك نحو عشرين دقيقة فأيقنت عجزها واستأنفت مسيرها نحو القرية فحسبتها ولت يائسة من الفوز بتلك الغنيمة وبعد دخولها بأقل من نصف دقيقة رأيتها خارجة تتقدم نحو ١٢ من اخواتها وما انتّهت بهن إلى الذبابة حتى تواقعن عليها متهافتات فمزقنها اربا اربا وعدن إلى القرية عود القاهر الفائز إلى وطنه المحبوب.

فالنملة الأولى جاءت رفيقاتها ولم يكن معها شيء قط فكيف اذاً تم لها ان تعلمهن بأنها وجدت طعاماً سائغاً وفريسة باردة وتستنجد بهن على الذبابة إلى القرية.

وقد لاحظ (هوبر) ان في النمل سيداً ومسوداً وخادماً ومخدوماً فاذا ارادت طائفة من النمل المستعبد الانتقال من مكان إلى آخر كان هنالك أمهات يحملن سيداتهن ويذهبن بهن حيث شأن .

وقد تبين لي انه يكفي سيدات النمل ان يتعهدن الامهات بتقديم الطعام وتنظيف المسكن مرة واحدة في الاسبوع.

وقد تجد في قرية النمل احياناً هوام اصغر منه واقل ادراكاً ونسبتها إليه كنسبة الحيوانات التي استخدمها الانسان وسماها اليفة وداجنة إلى الإنسان فبعض فصائله يستخدم الهوام المعروفة بالافيد وتكون له كالبقرة ولكنها بقر تدر لبناً وعلا.

فأن المادة التي تفرزها رطبة كالندى وحلوة كالشهد، والنمل خلق كريم ينظر إلى الإمام ويحسب للمستقبل فهو يحمي هذه الهوام ويجمع بيضها في الخريف استعداداً للربيع التالي.

ومن وراء كل ما كتبة اللورد افيري فحص شرقي قام به اسلافنا من اهل العلم فقالوا يدخر النمل الغذاء من الصيف للشتاء واذا احس بالنداوة في مساكنه عرض الحبوب على الشمس والهواء واذا لم يجد طريقاً إلى تجفيفها قرض الحبة نصفين ما عدا الكزبرة فتقسمها ارباعاً لعلمها بإنبات النصف وانها على كثرة ادخارها للغذاء تصوم أكثر من كل حي محافظة على صحتها وهي الوحيدة في صنوف الحيوان بحمل ما يماثل حجمها من الذهب من قوة العصب وهي التي تشعر بنزول المطر قبل الوقوع بيوم أو بعض يوم حتى أنهم اذا رأوا النمل يعيد ما قد نشر من حبوبه بسرعة تنبأوا بالمطر

وكثيراً من فلاحي الارياف يتنبأون بفياضان الرافدين اذا رأوا النمل المجاور للنهر يروف حول مدخل قريته إلى غير ذلك من شواهد تفيدان للنمل ثقافة فائقة في العلم والتربية فاذا لم تكن هذه لوحي من الله والهام منه فهل رأت معلماً ثقفها كمن يعلم البشر او تدربت كل نملة في حياتها بتجارب اعطتها هذه الدروس.

كلا فلا النملة واف عمرها للتجارب ولا الفنون التي تجلت في المجتمع النملي امر مستفاد من التجارب.

عناية الله بشأن الضعفاء:

ودودة أعـــــدّ في صـــــخرة معاشـــــها رب ودود كـــــريم

اني بالصخرة كمثال لوعاء الرزق والمراد من الدود عامة الحشرات والهوام الحقيرة فأنها تموت وتترك فراخها أو بيوضها بلا منفق وبلا ولي مشفق كي يتعاهد اعاشتها إلى أن تبلغ رشدها واشدها لكنما الله الودود بالدود وغير الدود من خلقه اكرم من ان يهمل امر هؤلاء الضعفاء فيرسل رزق شطر من هذه الحشرات عند افواهها في الحجيرات ويلهم شطراً آخر منهن ان يضعن بيوضهن على اوراق الشجر او بالقرب من الزهر والثمر حتى اذا نقفت البيوض بعد فراق الام وجدت رزقها معداً لديها. ومن الحشرات تدخر لفروخها اشلاء الحيوانات وتبيض فيها ثم تكسو الجموع بغشاء لعابي تعقيماً لذلك اللحم من ان يفسد بالهواء ونحوه حتى اذا نقفت البيوض بالفروخ جلست على مائدة مبسوطة ومعاش مذخور فتعيش عليه حتى تقوى على الخروج ثم تسلك هذه مسلك امها بدون أن تراها حتى في التفريخ وواجباته.

حكاية النحلة لحكمة الباري:

ظــواهر الحكمــة مــن نحلــة تحكــي تعــاليم إلــه حكــيم

الحكمة اتقان الصناعة لتؤدي إلى الغاية المطلوبة وظواهره في النحلة متوفرة.

أولاً: في امتياز خلقتها عن سائر الحشرات من ثقل دماغها بنسبة ١/ ١٧٠ بينما ثقل دماغ امثالها من الحشرات بنسبة ١/ ٤٢٠٠ وقوة اعصابها اذ تحمل ما يعادل وزنها (٢٠) مرة بينما الانسان يحمل المعادل لوزنه مرة او مرتين فقط وتهز جناحها في الدقيقة أكثر من ألف هزة وتطير في الساعة اثني عشر ميلا ولونه السنجابي رمز العقل كغشاء الدماغ. فلا غرو ان اختصها الله بوحيه وبآيات في وحيه اذ قال: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً**..﴾.[1]

ثانياً: في عجيب صنعها للخلايا والبيوت الشمعية للمبيت والمبيض والذخيرة فتوزع الاعمال بين نقالة المواد وعمالة التصفية والبنائين لجدرانها تحت نظارة الملك وفئة تصقل البناء ثم تساويه باللعاب. والبناء مع حكمة الصنع بديع الجمال خفيف الوزن حتى ان (٥٠٠) بيت من مملكة النحل لا يزن اكثر من مثقال واحد من (٥) غرامات ولا يشغل من المساحة الا كباطن الكف وكل ذلك بفضل شكلها المسدس فأنه اقصد الاشكال استفادة في المساحة وليست كالمستدير شكلاً طبيعياً يركن إليه الحيوان بالطبع مثل كورة الزنبور الاحمر، وانما المسدس شكل صناعي لا يعقل صدوره الا عن دراية وعناية سيما والنحل تبني مسدساتها متساوية الأضلاع والزوايا كمهندس بارع في الفن دقيق في آلاته.

---

(١) سورة النحل: ٦٨.

ثالثاً- حكمة الإدارة فالنحل لا تعيش إلا مجتمعة تحت رعاية ملك يسمي اليعسوب ومليكة تسمى الام يحوط بهما طبقة من الاناث وطبقة من الخدم ويمتاز الملك في منزله وفي مأكله وليس عليه سوى الامر والنهي إلى مواطن الرزق وقتل الخونة من الخدم وأمر الحرب والصلح مع الاجنبي وكلما فسد الملك عزلته أو قتلته رعيته ويتناوب حول مبيته خادمان لحراسته كما يتناوب حراس على ابواب المملكة و (القفير) واذا تحرك اليعسوب رحلوا جميعاً في ركابه وصاروا كتلة في الجو اشبه بقنبلة مقذوفة في الفضاء ولا تضل في سلوكها السبل بين بيتها والمزارع مهما تشابهت أو تباعدت واذا حان المبيض لإناثها التزمت البيت وبني عليها العملة غشاء لعابياً ومونوها بالذخائر من مسحوق الزهور والأري ولا وظيفة للإناث سوى حفاظة البيوت والبيوض والافراخ ووظيفة الذكور جلب الرزق وتموين البيت ومكافحة الاعداء ووظيفة الخنائي صنع البيوت وخدمة من فيها في الحل والترحال.

رابعاً- تفاهم النحل بلغة دق خفائها بالرغم من توالي البحث وقد عرفوا عنها بسائط من قبيل (همّ همّ) للدلالة على الرض والارتياح وصوت (وه وه وه) دليل الاهلال بولادة الملكية وصوت (تو تو تو) هو صوت الملبكة حينما تلد وعندئذ تجيبها الاناث الأخرى المسجونة على بيوضها (كوا كوا كوا) وصوت (شو شو شو) بمد الواو دليل على ملاعبة صغار النحل وصوت السين الممدودة دليل جمع الخشرم وتنظيمه وصوت (بر بر بر) بمد الراء دليل طرد الخناثي أو قتلها وتوجد في قاموس طبيعة النحل مواد غير هذه السبعة يتلاحق تسجيلها بالتجار وللنحل علوم واخبار معجبة من شتى نواحيها تكفلتها كتب العلماء المختصة بها في الشرق والغرب امثال:

اللورد (افيري) و (جون ليك) و (فابر الفرنسوي) يشهد القليل منها (فضلاً عن الكثير) على يراعة النحل في تلقي العلوم والاخلاق والفاضلة من خالقها الحكيم.

الانسان آيتان:

وهيكل الانسان ذو فكرة   منه منها حار لبّ فهيم

هيكل الانسان هيئته الظاهرة ذات الفكرة الوقادة التي حار فيها وفي تراكيب هذا الهيكل الباب الحكماء وعقول اهل الفهم ولواردنا ان نقنع ولو بالقليل من كثير ما قيل فيها لاقتضى تصنيف مجلد ضخم في الموضوع فالأحرى بنا ان نحيل القاريء إلى كتب في وظايف الاعضاء والتشريح (فسيولوجيا) وما كتبوا في علوم النفس والروح وعوالم الدماغ (بسكر لوجيا) وناهيك ان العلوم العالمية وجميع الكتب المصنفة فيها رشحات من تفكر الانسان: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾.(١)

سيارة الحياة في نقطة   تطوي سراها بدليل عليم

سيارة الحياة جرثومة الحي او ركب من الحويات السابحة في مني الفحل فان التشريح الحاضر (الفسيولجيا) يقرران النطفة المنفصلة من الفحل تموج بحويات لا تدركها الابصار سائرة على سنن التكامل في مراحل بين الاصلاب والارحام.

---

(١) سورة العلق: ١-٥.

ويسمى القرآن جرثومة الحي في هذه المرحلة علقاً و علقة كما في آية ﴿**خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ وفي آية ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**﴾.[١]

وقال الإمام علي عليه السلام:

(أم هذا الانسان الذي خلق في ظلمات الارحام وسجف الاستار نطفة دهاقاً وعلقة محاقاً الخ) ولما كان النصف الاسفل لجرثومة الحي حتى (الانسان) لزجا واشبه بالذيل المستطيل اينما شاءت الوقوف الصقت هذا الذيل بالأطراف وتعلقت به لذلك سميت علقة.

ولهذه الجرثومة سير في عالم الاصلاب لا يقل عن سيره في عالم الارحام يطرب السامع (وكل احد يستلذ حديث ماضيه من اقدم عهده وما قبل مهده).

وقد قال سيدنا الحسين السبط عليه السلام في دعاء عرفه:

«**وخلقتني من تراب ثم اسكنتني الاصلاب امناً لريب المنون واختلاف الدهور فلم ازل ضاعنا من صلب الى رحم**».[٢]

اجل ان جرثومة الحي قبل فراق الفحل تسبح في المجاري المنوية متنكبه عن المجاري الدموية بوسيلة آلة العلوق حتى تفتح في وجهها حرارة الشبق باب الخروج والولوج في الحرم كما ان حر السفاد من الاناث يفتح ابواب المجاري الفالوبية الدقيقة في وجه هذا المسافر المحبوب فيتقدم على بويضات هي كالحجيرات الممهدة لهذه الحشيرات وهذه ترتاد الناضجة منها فتدخل فيها من الرأس وتلصق الذيل بالأطراف ومتى

---

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

(٢) رواه السيد رضي الدين علي بن طاووس المتوفي سنة ٦٦٤ في كتاب الاقبال.

استغنت في وقوفها عن الذيل ذهب عنها بحكمة الرب سبحانه وتبيت العلقة في خلية الانثى اربعون ليلة أو أكثر تستوفي من البويضة حقها فتنحدران بعد هذا اللقاح متحدتين كمضغة يلفظها اللسان من بين الاسنان وذلك قبل ان يتضخم حجمها فيتعذر خروجها من المجاري الفالوبية فهل هداها إلى مصالحها وواجباتها غير واجب الوجود.

وقد شرحت في تفسيري لسورة الواقعة ادواراً واطواراً تجري على الانسان مما قبل الاصلاب إلى ما بعد موته تلك الادوار التي اشارت إليها آية الحج:

﴿..خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ..﴾.[١]

وانه في جميع مراحله يطوي السير والسري بدليل عليم والهام مرشد حكيم.

ولما لم يساعدنا العلم في أسناد هذه الهداية إلى ذرات المواد تحتم علينا الايمان بوجود ما فوق المادة.

حكمة الله في نظام النجوم:

من نظم الافلاك في حكمة (ذلك تقدير العزيز الحكيم)

من اسم موصول صفة العليم في البيت السابق أو استفهامية وجوابها الآية المقتبسة في الشطر الاخير ونظم الافلاك ليس اتقن منها صنعاً واظهر حكمة في نظر العالمين سواء على النظام القديم الذي يتخذ الارض مركزاً ثابتاً في وسط العالم ومن حوله

---

(١) سورة الحج: ٥.

كرات العناصر واجرام الافلاك المنضدة طباقاً كطبقات البصل بما فيها افلاكها الجزئية من ممثل وحامل وتدوير ومائل. او على النظام الفلكي الجديد الذي يتخذ قرص الشمس مركز الحركات ومن حولها سياراتها تدور حولها في مدارات مفروضة في الفضاء كأسماك تتلاعب في البحار حول السفن اقربهن إلى الشمس عطارد فالزهرة فالأرض فالمريخ ثم النجميات فالمشتري فزحل فارانوس فنبتون ثم ابلوتو﴿..**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ .[1]

أما النجميات التي تناهز الاربعمائة فأفلاكها البيضية متوازية على ابعاد تنساب اصول الجاذبية العامة لكي لا تصدم سيارة بأخرى وهناك افلاك تخترق مدارات هذه الاجرام كأفلاك اقمار المشتري زحل وقمرنا والقمرين في المريخ وغيرها وافلاك المذنبات التي تخترق فلكاً فلكاً في غدوها والرواح فاذا امعنت النظر في هذا النظام البديع قضيت منها عجباً ولقيت فيها الحكمة بعد الحكمة والمصلحة أثر المصلحة اذ فيها.

اولاً- ان الكرات السيارة (كارضنا) منحرف محورها بالنسبة إلى موازات قرص الشمس فمحور الارض منحرف نحو ٥/ ٢٣ درجة الامر الذي اوجد فيها ميل الشمس عن مناطقها الاستوائية إلى مناطقها الجنوبية تارة وإلى الشمالية اخرى في خلال السنة لكي تحظى بقاع الارض بضوء الشمس واشعته فتنمو فيها زروع وثمار واحياء واقوام ولو كانت هذه الاراضي للشمس لم يحظ بأشعتها سوى المناطق الاستوائية هي من اسرار صنعه الدالة على القصد والغاية لا عن مجرد الطبع والصدفة.

---

(١) سورة يس: ٤٠.

ثانياً- وجود القمر في الكرات الوسطى وكثرتها في الكرات الكبرى بينما الكرات القريبة من الشمس خلو من وجود قمر ما حولها اذ الغاية من وجود الأقمار اضائت المسالك في الليل الحالك ومد المياه إلى الأنهار في النهار.

أمّا الكرات القريبة من الشمس كعطارد والزهرة عينات من كل ذلك فأن شدة اقترابها من قرص الشمس يجعل ليلها وضاء من نفسه كحالة ارضنا بين الطلوعين طلوع الفجر الصادق وطلوع الشمس فلا تحتاج إلى انوار واقمار واما المياه (فعلى فرض وجودها في مثل هذه) تتأثر في المد والجزر بالشمس أكبر من القمر واما حكمة وجود القمر لأرضنا فظاهرة المصلحة.

كذلك كثرتها فيما بعدها من الكرات اذ المريخ صغير الحجم ويكفيه قمران يتداولان على سطحه ثم المشتري بعيدة عن شمسنا جداً وكبيرة الحجم (ضعف أرضنا بألف وأربعمائة مرة) فأعطيت عشرة أقمار لكفاية اصقاعها المترامية ثم زحل ابعد الكواكب داراً من شمسنا على ضخامة حجمها فهي اكبر من أرضنا نحو (٧٠٠) مرة والشمس ترى فيها قدر الدرهم فهي بحاجة ماسة إلى أضواء في ليلها الحالك فمنحها ربها الحكيم عشرة أقمار كبار مع منطقه حولها وسيعة النطاق تعوضها عن الشمس نوراً ونارا فلو كان هذا النظام أو خلق هذه الاجرام وليد الصدفة وبلا قصد وغاية فيها لكانت متساوية في كثرة الأقمار أو في خلوها عن قمر ونور يضيء المسالك في ليلها الحالك.

ثالثاً- حكمة الابعاد اذ ان القريبات من الشمس قليلة الفواصل بينما البعيدات عنها كثيرة الفاصلة فتبعد عطارد (٣٦) مليون ميلا والزهرة (٦٧) وارضنا (٩٣) والمريخ (١٢٧) والمشتري (٤٩٠) وزحل (٨٧٠) واورانوس (١٧٥٠) ونبتون (٢٧٥٠) بملايين الاميال.

وابسط قاعدة لا بعاد السيارات ما قاله الأستاذ الفلكي «بود»: اذا اخذنا الارقام: ٠، ٣، ٦، ١٢، ٢٤، ٤٨، ٠٩٦ . وكل منها كما ترى ضعف سابقه ونصف لاحقه واضفنا (٤) إلى كل رقم كان لنا السلسة التالية: ٤، ٧، ١٠، ١٦، ٢٧، ٥٢، ١٠٠، ٠٠٠.

والمتأمل فيها يرى ان الجرم البعيد لما تضمن لا قماره الكثيرة افلاكاً اهليلجية كان عرضة الارتباك والتصادم سيما وان الافلاك الكلية للسيارات العليا بيضية وعظيمة الا هليلجية تقتضي۔ مسافات عظمى للدوران في مداراتها فأوسع الله ميادينها ابتغاء سلامتها وسلامة ما يتعلق بها وهذا الصنع الحكيم لا يصدر إلا عن عناية ودراية.

اعتذار –لا خاتمة

هنا وقفت سلسة المحاضرات عن الطبع لانتهاء الدورة (الصيفية) لا لأنّها كتاب – المعارف العالية– فاذا انتهى نظرك (ايها القارئ الكريم) عند هذا الحد فلا تحسبه نهاية الكتاب البتة. ولسوف تبرز اجزاء اخرى إلى الطبع حافلة بمحاضرات قيمة وابحاث راقية حول تنزيه الله سبحانه وصفاته الحسنى. والوحي واسرار النبوات. وحول الملائكة والروح. ومعاد الخلائق واسرار العبادات. وفضائح الوثنية وحكمة الاحكام. والفضائل الاخلاقية. والخرافات والبدع. والشعائر النافعة للمجتمع وغير ذلك مما يتطلب عرفانه حالة النشيء وحاجة العصر كل ذلك بأسلوب ديني علمي فلسفي كهذا الاسلوب مجهز بالدلائل المبتكرة المؤيدة بالفنون الحاضرة انشاء الله تعالى.

الناشر


محمد رسول الله



الفهارس الفنية

- ❖ فهرس الآيات القرآنية.
- ❖ فهرس الأحاديث
- ❖ فهرس الأشعار.
- ❖ فهرس المحتويات.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الإشعار

فهرس المحتويات